الخطبة المنسوبة للسيدة زينب عليها السلام في الكوفة

تحقيق وتحليل

تأليف: د. الشيخ حسين المياحي

إصدارات مركز فجر عاشوراء الثقافي - التابع للعتبة الحسينية المقدسة

١٤٤٧-٢٠٢٥هـ

مركز فجر عاشوراء الثقافي

التابع للعتبة الحسينية المقدسة ـ قسم الشؤون الفكرية والثقافية

العراق ـ النجف الأشرف
حي االكرامة
هاتف : ٩٦٤ ٧٧٢٨٢٢٠٥٤٣+
fajrashura@fajrashura.com

عنوان الإصدار	:	الخطبة المنسوبة للسيدة زين عليها السلام في الكوفة تحقيق وتحليل
تأليف	:	د. الشيخ حسين المياحي
سنة الإصدار	:	٢٠٢٥/١٤٤٧ ـ رقم (٦٨)
نوع الإصدار	:	إلكتروني ـ PDF
الناشر	:	مركز فجر عاشوراء الثقافي
الموقع	:	fajrashura.com

جميع الحقوق محفوظة © لمركز فجر عاشوراء الثقافي، يُسمح بالنَّشر غير النفعي الإلكتروني ويسمح بالاقتباس مع ذكر المصدر ولا يسمح بتغيير جزء من أجزاء هذا الملف أو طباعته في المطابع دون إذن رسمي من المركز

تحاول هذه الدراسة أن تتناول ما نُسب للسيدة زينب عليها السلام من خطبة في الكوفة بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام من جهات عديدة: أقدم مصدر للخطبة، راويها، الاضطراب في مضمونها، ما أضيف إليها لاحقاً، الشواهد الكثيرة والقرائن على بطلان نسبتها إليها عليها السلام.

المحتويات

مقدمة ٨

خطة البحث ١٥

الشخصية الاستثنائية للعقيلة زينب عليها السلام ١٨

المحور الأول: استقراء مصادر التاريخ ٢٢

١. محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) ٢٣

٢. البلاذري (ت ٢٧٩هـ) ٢٨

٣ .أبو حنيفة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)..... ٣٠

٤. اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) ٣٢

٥. محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)..... ٣٣

٦ . خليفة بن خياط (ت٣٤٠ هـ) ٣٦

٧ . المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) ٣٧

٨ . أبو الفرج الإصفهاني (٣٥٦ هـ) ٣٧

٩ . ابن قتيبة الدينوري (ت ٣٧٦ هـ)..... ٣٨

١٠ . الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) ٣٨

١١ . الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) ٤١

١٢. ابن عساكر (٥٧١ هـ) ٤١

١٣ . ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)..... ٤١

١٤ . ابن الأثير (ت٦٣٠ هـ) ٤٢
المحور الثاني : الخبر الشاذ في فتوح ابن أعثم..... ٤٤
المحور الثالث: ما نسب لأم كلثوم في بلاغات
النساء ٥١
المحور الرابع: حال الراوي المباشر ٦٠
ما ذكروه من أسماء لراوي الخطبة المفترض..... ٦٣
١. خزيمة الأسدي ٦٣
مقتل خزيمة الأسدي في صفين ٧٠
٢. بشير بن جزيم الأسدي..... ٧٣
٣. حَذْلُم بنُ سَتِير ٧٤
٤ و ٥ . حذام الأسدي، حِذْيَم الأسدي ٧٧
٦ . حذيم بن شريك الأسدي ٧٨
٧. بشير بن خزيم الأسدي..... ٨٠
٨ . بشير بن خزلم الأسدي..... ٨٠
٩. خديم الأسدي ٨١
١٠ . حذلم بن بشير..... ٨١
١١. حذام بن ستير ٨٣
١٢ . حذلم بن كثير ٨٣
١٣. جزام بن ستير..... ٨٣
١٤ . بِشْر بنُ حَذْلَم ٨٤
١٥ . بشر بن حريم ٨٤

١٦ . جرير بن سيير ٨٤
١٧. بشير بن حذيم الأسدي ٨٥
١٨ . بشير بن جذلم ٨٦
١٩. بشر بن خديم ٨٧
٢٠. حذيم بن بشير ٨٨
خلاصة التحقيق في الراوي المفترض ٨٩
المحور الخامس: مناقشة سند المفيد للراوي نفسه ٩٣
المحور السادس: مناقشة سندية لرواية ابن طيفور عن أم كلثوم ١٠٣
نبذة عن حال ابن طيفور ١٠٤
سندا ابن طيفور في بلاغات النساء ١١٠
السند الأول - عن حذام الأسدي، أو حذيم ١١٠
السند الثاني - ما نسبه للإمام الصادق عليه السلام عن آبائه ١١١
نقد السند الأول ١١٢
نقد السند الثاني ١١٧
١. الأدلة الخارجية على بطلانه ١١٧
٢ . محاكمة رجال السند الثاني ١٢٠
المحور السابع: دراسة متن الخطبة والخطب الملحقة ١٢٤

١. موافقة النَّهج الناصبي ١٢٦
٢ . مخالفة النَّهج العلوي ١٢٨
٣ . عدم مناسبة النصوص لنهج وأخلاق أهل
البيت عليهم السلام ١٣٠
٤ . عدم ذكر التواريخ توقف السبايا قبل الوصول
لقصر الإمارة ١٣٤
٥ . عدم رواية الحادثة من طرق الشيعة ١٣٩
٦ . اضطراب النصوص في نفسها وظروفها ١٤١
أ - التناقض في وصف حال السبايا ١٤١
ب - الزيادات والإضافات في العصور التالية . ١٤٨
إضافة خطبة للإمام السجاد عليه السلام لاحقاً ١٥٤
إضافة خطبة لفاطمة الصغرى لاحقاً ١٥٧
إضافة خطبة لأم كلثوم لاحقاً..... ١٥٩
ج - التناقض الفاحش في وصف حال
المخاطبين ١٦٣
د - عدم مناسبة الكثير من التعابير لمقتضى
الحال..... ١٦٥
خلاصة البحث..... ١٦٨
الملاحق..... ١٧٤

مقدمة

بعد التفصيل الذي نشرناه فيما مضى[1] للصورتين التاريخيّتين المتناقضتين اللتين عرضهما التاريخ لأهل العراق عموماً، والكوفة بالخصوص، في علاقتهم مع أئمتهم، وهما: الصورة المنقولة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وأصحابهم، والمؤيَّدة بالواقع التاريخي القطعي. والصورة الأخرى المناقضة لها، المنقولة عن الأمويين والعباسيين والزبيريين، وسائر النواصب وخصوم الشيعة، يرد السؤال التالي:

ثمة نصوص تاريخية نُسبت لبعض أئمة أهل البيت عليهم السلام أو ذراريهم، تذمّ أهل العراق وشيعة الكوفة، أو تنسب إليهم قتل علي والحسين عليهما السلام

(١) نُشر سابقاً تحت عنوان: الكوفة كنز الإيمان.

أو الغدر والخذلان والخديعة وأمثال ذلك، مما هو موافق في ظاهره للخطاب الأموي والعباسي والزبيري. فما هو القول الفصل في تلك النصوص من جهة ثبوتها أو دلالاتها؟

للجواب عن ذلك لا بد أن نؤكد أولاً مجموعة من الثوابت المنهجية، التي تجعل تلك النصوص في ميزانها العلمي الصحيح، بعيداً عن سائر المؤثرات.

فمن تلك الثوابت المنهجية التي لا بد من أخذها بعين الاعتبار، وجعلها أساساً في دراسة تلك النصوص:

١. لا يمكن أن يرد عن المعصوم عليه السلام اختلاف وتعارض بهذا الحجم الصارخ، في موضوع واحد، بحيث يصل إلى حدّ التنافر. فإما أن يكون خطاب المعصوم متوافقاً مع الصورة الأولى أو الثانية. وقد تأكد لدينا فيما مضى أن خطاب المعصوم بالخصوص هو المدح والثناء على شيعته عموماً، وشيعة العراق والكوفة بالخصوص، والاهتمام بهم، والدعاء لهم، والإشادة بمواقفهم.

فإن وجدنا ما ظاهره الذم، المتوافق مع الخطاب المناهض لأهل البيت عليهم السلام، فلا بد من البحث عن

حلّ مناسب للتعارض والاختلاف والتنافر، بعد التثبت أولاً من صدوره عنه. فمن الخطأ الفادح أن نتبنى كلاماً للمعصوم عليه السلام من هذا القبيل، قبل التثبت من صحة نسبته إليه.

٢. خطاب الذم المنسوب للأئمة عليهم السلام أو أحد أصحابهم أو ذراريهم، الذي ينسب لشيعة العراق والكوفة، عين الأوصاف الأموية والعباسية وأمثالها، يحمل رسالة خطيرة واضحة المعالم، هي الطعن بالأئمة عليهم السلام وشيعتهم على حدّ سواء، وتصويرهم بصورة تعكس عدم صلاحيتهم لقيادة الأمة. فلا الأئمة عليهم السلام يصلحون للزعامة، ولا أتباعهم محلّ ثقة واعتماد. وأخطر ما فيه أنه يمثل (شهادات إدانة) من داخل الشيعة أنفسهم، هي أبلغ في الحجة المضادة، وأقرب في التأثير بنفوس الشيعة وعقولهم.

٣. النصوص التي نشرناها سابقاً، في المدح، والثناء على أهل الكوفة والعراق، تناولت الشيعة بالخصوص، كما أن نصوص الذمّ التي وردت عن مصادر غير شيعية، تناولت الشيعة أيضاً وليس غيرهم. فلا معنى للذهاب بعيداً في التأويل، لجعلها في غيرهم. اللهم إلا في بعض النصوص المحفوفة

بقرائن واضحة تفيد أن المراد والمقصود غير الشيعة، كما في وجود أوصاف لا تنطبق على الشيعة بالمطلق، كالنصب والعداوة لأهل البيت عليهم السلام

٤. أن الصورتين اللتين ذكرناهما في الفصلين الأول والثاني، لا بد من جعلهما معياراً تُعرض عليه سائر النصوص الأخرى، فما وافق نهج المخالفين من أعدائهم عليهم السلام، وخالف ما نُقل عنهم في الصورة التي ذكرناها سابقاً بالأدلة والوثائق القطعية من مصادرنا المعتبرة، وحتى مصادر العامة، لا بد أن يكون موضع شكّ على الأقل خصوصاً إذا كان مصدره غير الشيعة. فيكون ذلك أحد أبرز القرائن المؤكدة لاستبعاد الصدور عنهم عليهم السلام أو عمن هو قريب جداً منهم، كالعقيلة زينب عليها السلام.

٥. لا يبعد أن يوجّه الإمام المعصوم عليه السلام خطاباً لتربية الجماعة الصالحة وتأديبها، وقد يستخدم التقريع والتوبيخ والحث والتوجيه والعتاب والتحذير، طبقاً لمقتضى الحال، وهذا أمر متعارف في اللغة والخطاب القرآني لنبيه[1] وللمؤمنين، فلا

(١) من ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ وَتَنازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِين﴾. فقد أسماهم

يلزم منه الانتقاص من قدرهم، أو تصنيفهم في سياق الصورة السلبية التي انتهجتها السلطات المعادية لأهل البيت عليهم السلام على مرّ التاريخ. فكما يمكن حمله هناك على التربية والتأديب، يُحمل هنا أيضاً.

ولكن حتى هذا النحو من التأويل مبنيّ على إثبات صدور النص عن المعصوم وأمثاله أولاً.

٦. وجود النص التاريخي في أحد مصادر الشيعة، لا يمنحه صفة القبول المطلق، ولا يسلب عنه مظنّة الوضع والدس، أو التحريف والتزوير، فالغالبية الساحقة من تلك النصوص التي تذم شيعة العراق والكوفة إن لم تكن كلها مصدرها مؤرخون أو رواة

مؤمنين، مع ارتكابهم العصيان والتنازع. ثم عفا عنهم، ولم يلزم من ذلك كونهم خاذلين غادرين أو غير ذلك مما ورد في وصف الشيعة على لسان الأمويين والعباسيين وغيرهم.

وقوله تعالى: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُم فأقيموا الصلاة﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾. بقطع النظر عما قيل في تفسيرها الذي يقال أيضاً في تفسير بعض النصوص التي ربما تثبت في هذا الصدد، وظاهرها العتاب أو اللوم لغرض التقويم والتربية والتنبيه أو غير ذلك.

ومثل ذلك عتاب النبي صلى الله عليه وآله للصحابة وتنبيههم وتقريعهم أحياناً، وهو من الأساليب التربوية التي يتبعها الكثير من القادة المعلمين والمربين.

أو محدثون من خارج دائرة التشيع، بل الكثير منهم من خصوم أئمة أهل البيت عليهم السلام ومخالفيهم، ومنهم من اشتهر بالكذب والوضع، أو عُرف بالنصب والعداوة لهم، أو كان على ارتباط مباشر بالسلطات الحاكمة التي اضطهدت الأئمة عليهم السلام وأتباعهم على مدى قرون. لكن تلك النصوص تسربت لمصادر الشيعة بشكل أو آخر كما سيأتي.

وعليه لا يكفي ورود النص في مصدر شيعي ليمنحه صفة الحصانة من التلاعب، ولا القبول المطلق لمجرد وجوده في المصدر الشيعي.

فلا بد أن نبحث عن الأصل والمصدر الأول الذي ورد فيه النص أولاً، لا أن نأخذه مباشرة من المصدر الشيعي الذي جاء فيه وننسبه إليه، لعلمنا الإجمالي المسبق بأخذ بعض المصادر الشيعية عن المؤرخين والرواة والمحدثين بالصفة التي ذكرناها لهم، لا سيما أولئك المرتبطين بالسلطات العباسية وأمثالها. وعِلْمنا أيضاً أن أولئك المؤرخين أو الرواة، بدفع وتوجيه من السلطات نفسها، أو بدوافع عقدية أو غيرها، عملوا جاهدين على الطعن بالشيعة وأئمتهم عليهم السلام على حدّ سواء، بل

الهدف الأول لهؤلاء كان الأئمة عليهم السلام قبل شيعتهم.

وسوف نبدأ طبقاً للثوابت التي ذكرناها، ومنهجنا في البحث باستعراض أبرز تلك النصوص، ومناقشتها ونقدها. ابتداء بالبحث عن صدورها أولاً، مروراً بنقدها وتحليلها، وانتهاء بالنتائج المبنية على تلك الأسس والضوابط والثوابت.

وأول هذه النصوص: الخطبة التي نُسبت للعقيلة الطاهرة عليها السلام عند دخولها الكوفة، وهي في قافلة السبي المتجهة نحو قصر ابن زياد.

***

خطة البحث

نحاول في هذا البحث التحقق مما نُسب للعقيلة زينب عليها السلام من توقفها في الكوفة، وهي في طريقها مع سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله نحو قصر ابن زياد، وإلقائها خطبة في جمهور حاشد من الكوفيات اللاتي خرجن لاستقبال السبايا، مع بعض الرجال أيضاً. وما أضيف إليها من خطب أخرى فيما بعد، نُسبت للإمام السجاد عليه السلام وأم كلثوم وفاطمة الصغرى، فيما يشبه (المهرجان الخطابي) الذي دار حول محور واحد فقط، هو نسبة القتل والخذلان والغدر والعداوة والخديعة وأمثال ذلك للمخاطَبين الذين خرجوا للتعاطف مع ركب السبايا والتألم لحالهم، والتفجع لما حلّ بهم.

وقبل البحث في ذلك، سوف نبدأ بإطلالة موجزة جداً على الشخصية الاستثنائية للعقيلة زينب عليها السلام،

مع الإشارة لطبيعة بعض البيانات التي صدرت عنها بعد واقعة الطف، لأن معرفة شخصية القائل وثيقة الصلة بمعرفة ما يصدر عنه، خصوصاً عند المقارنة بين نصوص متعددة نُسبت إليه. فكلام المعصوم عليه السلام مثلاً، لا يقاس بكلام الأمير أو الخليفة وأمثالهما، من جهة المضامين التي تعكس تربية وثقافة ومتبنيَّات كل منهما. وكذلك من كان في أعلى درجات التهذيب كالسيدة العقيلة عليها السلام.

وسوف نقوم بتقسيم البحث إلى سبعة محاور، وهي كما يلي:

المحور الأول: نستقرئ فيه أمهات المصادر التاريخية المعتبرة لمعرفة مدى احتمال وقوع (حادثة التوقف في الكوفة قبل الوصول للقصر) لإلقاء الخطب. إذ يفترض أنها حادثة مشهورة شاهدها المئات، بل ربما الآلاف من الناس، ومن شأن الحوادث المشهورة أن تُنقل جيلاً بعد جيل، فلا يسع المؤرخين جميعاً التغاضي عنها وإهمالها، ولا بد أن تُذكر في عدد من التواريخ المعتبرة، ويرويها قدر مُعتدٌّ به من الرواة.

أما المحور الثاني: فسوف نذكر فيه الخبر الذي

نقل إلينا تلك الخطبة، من مصدره الأول.

ثم نذكر في المحور الثالث خبراً مشابهاً له من جهة المضمون، لكنه منسوب للسيدة أم كلثوم، لا إلى زينب عليها السلام.

أما المحور الرابع: فسوف نخصصه لحال الراوي المباشر الذي ورد في المصدر الأول.

ثم نناقش في **المحور الخامس:** سنداً آخر ينتهي للراوي ذاته دون غيره، ورد في أمالي الشيخ المفيد رحمه الله، ثم أخذه الشيخ الطوسي عن المفيد.

أما المحور السادس: فخصصناه لمناقشة سندين وردا في بلاغات النساء، أحدهما ينتهي للراوي المذكور في المصدر الأول، والآخر نُسب للإمام الصادق عليه السلام (عن آبائه عليهم السلام).

أما **المحور السابع:** فسيكون لدراسة متن الخطبة المنسوبة للسيدة زينب عليها السلام، تحليلاً ونقداً، وكذلك الخطب الأخرى التي نُسبت لآخرين في الحادثة المفترضة نفسها. ثم ختمنا البحث بخلاصة موجزة.

***

الشخصية الاستثنائية للعقيلة زينب عليها السلام

حظيت العقيلة الطاهرة زينب الكبرى عليها السلام بمجموعة من الخصال الفريدة التي ميزتها عن سائر النساء بشكل واضح لا لبس فيه. فهي حفيدة سيد الخلق صلى الله عليه وآله وابنة كل من علي عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام وأخت الإمامين الطاهرين، الحسن والحسين عليهما السلام. وقد عاشت في ظلّ هذه الكوكبة النيرة المقدسة أشطراً متفاوتة من عمرها الشريف، ابتداء من رسول الله صلى الله عليه وآله الذي عاشت في كنفه ورعايته أربعاً أو خمس سنوات تقريباً، وانتهاء بالحسين عليه السلام الذي عاصرت بمرارة وألم خاتمة حياته المقدسة.

والذي يعنينا في هذا البحث، أن هذه الظروف التي عاشتها جعلت منها شخصية استثنائية فريدة،

فهي خريجة بيت الوحي والنبوة، ومدرسة الإمامة والولاية، ومن الطبيعي أن ينعكس ذلك بوضوح ليرسم معالم شخصيتها، فتكون نسخة أخرى مشابهة لتلك الذوات النورانية.

ومايعنينابشكل أخص، طبيعة خطابها ومضامينه التي لا بد أن تكون الأقرب لمنطق الوحي والقرآن والخطاب المعصومي، فحاشاها أن تنطق هذراً، أو تقول لغواً، أو تخرجها انفعالاتها عن حق، أو تدخلها في باطل، إنما «تقول حقاً وصدقاً، لا تحركها العواصف، ولا تزيلها القواصف»[1]. وهذا ما أكدته العديد من بياناتها التي أُثرت عنها، خصوصاً بعد فاجعة كربلاء.

ففي مرورها على الأجساد الزكية صرخت صرختها التي أبكت كل عدوّ وصديق، لكنها لم تكن كسائر الصرخات، إنما كانت صرخة واعية موجهة نحو الضمائر التي ماتت، والمشاعر التي انطفأت، لتذكّرها بسيد الخلق محمد صلى الله عليه وآله وأن هذه الأمة ارتكبت جريمة غير مسبوقة في تاريخ الديانات، وهي قتل ابن بنته، وسبي بناته. فهي

(١) السيد الخوئي، معجم رجال الحديث ٢٤: ٢١٩.

صرخة المفجوع الذي يعي ما يقول، فلا يخرجه الألم واللوعة عن الخطاب اللائق ببنت الرسالة، المتناسب وشخصيتها الرسالية.

أما في مجلس عبيد الله بن زياد، فلم يكن حوارها سوى ترجمة لما جاء في كتاب الله تعالى، ولم تكن شخصيتها سوى نسخة مكررة من النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام: شجاعة، وثباتاً، ووعياً، وعلماً، وفصاحة. والقصة معروفة في ذلك لا نطيل فيها الكلام.

وأما خطبتها في الشام، في مجلس يزيد بن معاوية، فتشهد بنفسها أن العقيلة عليها السلام كانت تصدر عن القرآن الكريم، وتنطق عن لسان جدها وأبيها وأهلها عليهم السلام، حتى كأنّ روح القدس نطق على لسانها، بل هو كذلك. فكانت خطبةً مليئة بالمفاهيم القرآنية المقدسة، والصور الصادقة الصاعقة، فضلاً عن رونقها البلاغي الذي لا يخفى على أصحاب الذوق الأدبي الرفيع.

وعند مقارنة النصوص السابقة بما نُسب إليها في الكوفة، وهي في طريقها إلى قصر ابن زياد، سبيّةً بين أيدي الأعداء، نجد البون الشاسع والفرق

الكبير بين الحالين، سواء من جهة المضامين البعيدة عن لغة الوحي وسمت أهل البيت عليهم السلام وأخلاقهم في الخطاب، أم من جهة لحن الخطاب غير المتناسب مع الشخصية الاستثنائية للسيدة العقيلة عليها السلام بالخصوص، أم من جهة انطباقه على واقع المخاطَبين، أم غير ذلك من الجهات التي سوف نعرفها من خلال هذا البحث.

وهذا ما دفعنا للتوقف عند هذه الخطبة المنسوبة للسيدة زينب عليها السلام في الكوفة، لدراستها وتحليلها من جهات عديدة، طبقاً لما ذكرناه من منهج البحث، ومنه العرض على النصوص المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام في مدح شيعتهم، والدعاء لهم، والعناية بأحوالهم. وكذا استحضار الواقع التاريخي الذي عُرف عن شيعتهم من مؤازرة الأئمة عليهم السلام ونصرتهم، وبذل الدماء والأموال في سبيل ذلك، لا سيما شيعة العراق وأهل الكوفة، كما ذكرناه تفصيلاً في الإصدار السابق: الكوفة كنز الإيمان.

❊❊❊

المحور الأول:
استقراء مصادر التاريخ

لم نجد في التواريخ القديمة التي سبقت الفتوح لابن ابن أعثم[1] أو لحقته، ذكراً لتوقّف السبايا في الكوفة في طريقهم إلى قصر ابن زياد. مع أنّ وقوفهم المفترض وإلقاء الخُطب، لا بد أن يبلغ من الشهرة حدّاً لا يُعقل عادةً أن يتجاوزه المؤرخون والرواة جميعاً، مع توفر الدواعي لنقله، فلا يذكره إلا مؤرخ واحد، ينسبه إلى راوٍ واحد، سوف تعرف حاله فيما بعد.

وسوف نستعرض أبرز المصنفات التاريخية التي تعرضت لواقعة كربلاء عموماً، ونقل السبايا إلى الكوفة بالخصوص:

(١) وهو المصدر الأول الذي ذكرها كما سيأتي.

١. محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ):

وهو من أقدم المؤرخين في العصر العباسي، الذين تعرضوا لنقل واقعة كربلاء، لكننا لم نجد في طبقاته أي ذكر لدخول السبايا وتوقفهم في الكوفة لإلقاء الخُطب، إنما ذكر حملهم مباشرةً من أرض المعركة إلى قصر ابن زياد. مع أنه ذكر فيما ذكر روايةً عن الإمام السجاد عليه السلام يستعرض فيها ما جرى له ابتداءً من كربلاء، حتى أدخل على ابن زياد.

قال ابن سعد: «فلما قُتل الحسين عليه السلام، قال شمر بن ذي الجوشن: اقتلوا هذا، فقال له رجل من أصحابه: سبحان الله! أنقتل فتىً حدثاً مريضاً، لم يقاتل؟ وجاء عمر بن سعد فقال: لا تعرضوا لهؤلاء النسوة ولا لهذا المريض.

قال علي بن الحسين: فغيّبني رجلٌ منهم، وأكرم نزلي، واختصني، وجعل يبكي كلما خرج ودخل. حتى كنت أقول: إن يكن عند أحد من الناس خير ووفاء فعند هذا. إلى أن نادى منادي ابن زياد: ألا من وجد علي بن حسين فليأت به، فقد جعلنا فيه ثلاثمئة درهم. قال: فدخل والله عليَّ وهو يبكي، وجعل يربط يديّ إلى عنقي، وهو يقول: أخاف.

فأخرجني والله إليهم مربوطاً حتى دفعني إليهم وأخذ ثلاثمئة درهم، وأنا أنظر إليها.

فأُخذت وأُدخلت على ابن زياد. فقال: ما اسمك؟ فقلت: علي بن حسين. قال: أو لم يقتل الله علياً؟ قال: قلت: كان لي أخ يقال له علي أكبر مني، قتله الناس. قال: بل الله قتله. قلت: ﴿اللهُ يَتَوَفّى الأَنْفُسَ حِيْنَ مَوْتِها﴾[1]. فأمر بقتله، فصاحت زينب بنت علي: يا ابن زياد، حسبك من دمائنا، أسألك بالله إن قتلته إلا قتلتني معه، فتركه. فلما أُتي يزيد بن معاوية بثقل الحسين ومن بقي من أهله، فأدخلوه عليه قام رجل من أهل الشام فقال: إن سباءهم لنا حلال. فقال علي بن حسين: كذبت ولؤمت. ما ذاك لك، إلا أن تخرج من ملتنا، وتأتي بغير ديننا. فأطرق يزيد ملياً، ثم قال للشامي: اجلس»[2].

هذه الرواية بقطع النظر عن صحتها تفيد وتؤكد أن الإمام السجاد عليه السلام لم يزل أسيراً منذ اليوم الأول للواقعة، حتى تسليمه لابن زياد مقيَّداً. وهذا ما تؤكده سائر التواريخ اللاحقة، من كون الأسارى

---

(١) الزمر: ٤٢.

(٢) الطبقات الكبرى ٥: ٢١٢.

حُملوا في اليوم الثاني عشر في حال لا يختلف عن حال غيرهم من الأسارى في ذلك الزمان، وأُخذوا مباشرة إلى قصر ابن زياد، وكان الإمام السجاد عليه السلام مقيداً.

بل تذكر هذه الرواية أنه كان مُتخفيّاً قبل أن يُسلَّم إلى ابن زياد. ومثل هذا الحال لا يسمح له قطعاً بالتوقف في الكوفة وإلقاء الخطب، أو إقامة (مهرجان خطابي) تشارك فيه العقيلة الطاهرة أو وغيرها من النساء.

كما ورد في الجزء الذي طُبع مؤخراً من الطبقات تحت عنوان: «ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله» من القسم غير المطبوع سابقاً من كتاب الطبقات الكبير وهو جزء من نسخة خطية من مخطوطات القرن السابع، في خزانة السلطان أحمد الثالث في تركيا سردٌ وافٍ ومفصّل لسيرة الإمام الحسين عليه السلام ومقتله، ومنها دخول السبايا إلى الكوفة والشام، فلم يُذكر أيّ خبر لهذه الحادثة المزعومة.

قال ابن سعد في ذكر الناجين من الواقعة: «... فإن هؤلاء استضعفوا، فقُدم بهم وبنساء الحسين بن

علي وهنّ: زينب وفاطمة ابنتا علي بن أبي طالب[1]. وفاطمة وسكينة ابنتا الحسين بن علي. والرباب بنت أنيف الكلبية امرأة الحسين بن علي، وهي أم سكينة وعبد الله المقتول، ابني الحسين بن علي. وأم محمد بنت حسن بن علي، امرأة علي بن حسين. وموالي لهم ومماليك عبيد وإماء، قُدم بهم على عبيد الله بن زياد مع رأس الحسين بن علي ورؤوس من قتل معه رضي الله عنه وعنهم»[2].

كما ذكر خبراً آخر عن مسير السبايا من كربلاء إلى الكوفة، دون أن يذكر ولو بالإشارة، توقفهم في الكوفة في أثناء الطريق قبل الدخول لقصر ابن زياد:

قال ابن سعد: «ولما أمر عمر بن سعد بثقل الحسين أن يدخل الكوفة، إلى عبيد الله بن زياد، وبعث إليه برأسه مع خولي بن يزيد الأصبحي. فلما حمل النساء والصبيان، فمروا بالقتلى صرخت

---

(١) لم يذكر بنتاً لعلي عليه السلام اسمها أم كلثوم.

(٢) ترجمة الإمام الحسين ومقتله من كتاب الطبقات الكبير لابن سعد: ٧٨. تحقيق: عبد العزيز الطباطبائي. مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم المقدسة، الطبعة الأولى: ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م. انظر كذلك: مجلة تراثنا، العدد الأول، السنة الثالثة: ١٤٠٨ هـ: ١٨٧.

امرأة منهم: يا محمداه، هذا حسين بالعراء، مزمل بالدماء، وأهله ونساؤه سبايا. فما بقي صديق ولا عدو إلا أكبّ باكياً[1].

ثم قُدم بهم على عبيد الله بن زياد، فقال عبيد الله: من هذه؟ فقالوا: زينب بنت علي بن أبي طالب. فقال: كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: كُتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بيننا وبينك وبينهم»[2].

وقال كذلك: «وأمر عبيد الله بن زياد بحبس من قُدم به عليه من بقية أهل حسين معه في القصر»[3].

كما ذكر خبراً نسبه للإمام السجاد عليه السلام بخصوص خروجهم من الكوفة نحو الشام، قال: «حُملنا من

---

(١) بكاء الجند، بل بكاء عمر بن سعد نفسه، عند رؤية حال النسوة والأطفال، لا سيما في مرورهن على الأجساد، من المشهورات التاريخية التي ذكرها الكثير من المؤرخين. وهذا يؤكد أن ما نسبوه للإمام السجاد عليه السلام من قوله: «هؤلاء يبكون علينا فمن قتلنا؟» قيلت في كربلاء في شأن القتلة المحاربين، لا بحق النسوة الكوفيات اللاتي زعموا خروجهن لاستقبال السبايا. وهو المناسب لشأن المعصوم العارف بما يقول، فلا ينسب الفعل إلا لصاحبه، ولا يحمّل البريء وزر المجرم. قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

(٢) المصدر السابق: ٧٩. مجلة تراثنا، العدد الأول، السنة الثالثة: ١٨٨.

(٣) المصدر السابق: ٨١. مجلة تراثنا، العدد الأول، السنة الثالثة: ١٩٠.

الكوفة إلى يزيد بن معاوية، فغصّت طرق الكوفة بالناس يبكون، فذهب عامة الليل ما يقدرون أن يجوزوا بنا لكثرة الناس. فقلتُ: هؤلاء الذين قتلونا، وهم الآن يبكون»[1].

ولسنا هنا بصدد نقد الرواية المذكورة، بل لبيان عدم ذكر حادثة توقف السبايا عند دخول الكوفة قادمين من كربلاء، مع أنه ذكر خبراً عن الإمام السجاد عليه السلام ونسب إليه قولاً. فلو كان قد توقّف للخطاب قبل ذلك، لكان الأنسب أن يذكره في هذا المورد.

فلم يذكر ابن سعد، لا في القسم المطبوع سابقاً من طبقاته، ولا في الجزء المطبوع لاحقاً منه، المخصوص بالإمام الحسين عليه السلام ومقتله، شيئاً عن توقف السبايا أثناء دخولهم إلى الكوفة، عند حملهم إليها من كربلاء باتجاه قصر ابن زياد، لإلقاء الخطب هناك.

٢. البلاذري (ت ٢٧٩هـ):

وهو من أقدم النسابين والمؤرخين في العصر

(١) المصدر السابق: ٨٩. مجلة تراثنا، العدد الأول، السنة الثالثة: ١٩٨.

العباسي أيضاً، وقد ذكر مقتل الحسين عليه السلام وطرفاً مما حصل بعد الواقعة.

قال: «ومال الناس على الورس والحلل والإبل فانتهبوها... وجاذبوا النساء ملاحفهن عن ظهورهن فمنع عمر بن سعد من ذلك فأمسكوا. ونادى عمر بن سعد في أصحابه من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه، فانتدب عشرة، منهم إسحاق بن حياة الحضرمي، وهو الذي سلب الحسين قميصه فبرص. فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضّوا ظهره وصدره... وأقام عمر بن سعد يومه والغد، ثم أمر حميد بن بكير الأحمري، فنادى في الناس بالرحيل إلى الكوفة، وحمل معه أخوات الحسين وبناته ومن كان من الصبيان، وعلي بن الحسين الأصغر مريض. فلطمن النسوة وصحن حين مررن بالحسين، وجعلت زينب بنت علي تقول: يا محمداه صلى عليك مليك السماء، هذا حسين بالعراء، مرمل بالدماء مقطع الأعضاء... فأبكت كلّ عدوّ ووليّ»[1].

(١) أنساب الأشراف٣: ٢٠٤.

وذكر رواية تطابق في مضمونها رواية ابن سعد، قال: «وحدثني بعض الطالبيين أن ابن زياد جعل في علي بن الحسين جعلاً، فأُتي به مربوطاً، فقال له: ما اسمك؟ قال: علي بن الحسين. قال: ألم يقتل الله علي بن الحسين ؟... إلخ»[1].

فالإمام السجاد عليه السلام بحسب هذه الرواية، والتي قبلها في طبقات ابن سعد، جيء به مقيّداً من كربلاء إلى الكوفة، بعد أن حاول بعضهم إخفاءه والتستر عليه لإنقاذه من ابن زياد. فلم يقف في الطريق لإلقاء الخطب، كما لم يذكر توقف غيره من الأسارى، لا السيدة زينب عليها السلام ولا غيرها.

كما ذكر البلاذري قصة عبد الله بن عفيف الأزدي، ومقتله وصلبه في السبخة[2] مما يعني أن قبضة السلطة كانت شديدة خانقة على الكوفة، بحيث لا يُسمح لأي معارض لها بالتفوه ولو بكلمة.

٣. أبو حنيفة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)

وهو كذلك من أقدم المؤرخين الذين تعرضوا

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ٢٠٦.

(٢) انظر: أنساب الأشراف ٣: ٢١٠.

لحوادث واقعة الطف بتفصيل ملحوظ، وإن كان أقل من الطبري. ويبدو أنه اعتمد على رواية أبي مخنف بشكل رئيس، وإن لم يذكر ذلك:

قال الدينوري في ذكر السبايا: «وأمر عمر بن سعد بحمل نساء الحسين وأخواته وبناته وجواريه وحشمه في المحامل المستورة على الإبل!... قالوا: ولما أدخل رأس الحسين عليه السلام على ابن زياد فوضع بين يديه، جعل ابن زياد ينكت الخيزرانة ثنايا الحسين، وعنده زيد بن أرقم... قالوا: وكانت الرؤوس قد تقدم بها شمر بن ذي الجوشن أمام عمر بن سعد... قالوا: ثم إن ابن زياد جهز علي بن الحسين ومن كان معه من الحرم، ووجه بهم إلى يزيد بن معاوية مع زحر بن قيس ومحقن بن ثعلبة، وشمر بن ذي الجوشن، فساروا حتى قدموا الشام...»[1].

فلم يذكر توقفهم في الكوفة قبل وصولهم إلى القصر، ولا إلقاء الخطب بين أهلها، لا في هذا الموضع ولا غيره.

(١) انظر: الأخبار الطوال: ٢٦٠.

٤. اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ):

وهو من أقدم المؤرخين الذين تعرضوا لسرد حوادث الطف أيضاً، ومنها نقل السبايا إلى الكوفة، إلا أنه لم يذكر توقفهم لإلقاء الخطب أثناء الطريق إلى لقصر، مع أنه ذكر كلاماً للإمام السجاد عليه السلام بخصوص النساء اللاتي خرجن لرؤية السبايا بحسب الزعم:

قال اليعقوبي: «وبادر القوم فاحتزّوا رأسه، وبعثوا به إلى عبيد الله بن زياد، وانتهبوا مضاربه، وابتزّوا حرمه، وحملوهن إلى الكوفة، فلما دخلن إليها، خرجت نساء الكوفة يصرخن ويبكين، فقال علي بن الحسين: هؤلاء يبكين علينا[1] فمن قتلنا؟ وأخرج عيال الحسين وولده إلى الشأم»[2].

وبقطع النظر عن صحة المنقول، إلا أنه لم يتجاوز هذه العبارة المقتضبة عن الإمام السجاد عليه السلام وهو في الطريق إلى القصر، بخصوص خروج النساء الباكيات.

---

(١) وهل قتلتهم النساء اللاتي يبكين مواساة لهم وتفجعاً على ما حل بهم؟!

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٤٥.

فلم يذكر توقف الأسارى، ولا إلقاء الخطب، ولو كانت هنالك خطبة للإمام السجاد عليه السلام، أو السيدة زينب عليها السلام أو غيرهما، لكانت أولى بالذكر من العبارة المقتضبة التي زعم أنه قالها.

٥. محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ):

وهو من أشهر وأقدم المؤرخين الذين نقلوا حوادث الطف بتفصيل لا نظير له في سائر التواريخ، وعنه أخذ الشيعة وغيرهم جُلّ الأخبار عن واقعة الطف.

وقد تميّز الطبري بذكر الكثير من الحوادث بأكثر من طريق، عن أكثر من راوٍ. فنجده يروي عن أبي مخنف الأزدي مثلاً، ثم يروي الحادثة ذاتها عن عوانة بن الحكم، أو عن عمار الدهني، أو غيرهم. كما تميز بكثرة نقله عن أبي مخنف بالخصوص. ويُعدّ هذا الأخير أبرز وأقدم المؤرخين لحوادث كربلاء، ممن يسكنُ الشيعةُ إلى ما يرويه. لكن الطبري مع ذلك، لم يروِ توقف السبايا في الكوفة لإلقاء الخطب، قبل الوصول إلى قصر ابن زياد، عن أيّ من أولئك الرواة والمؤرخين في تاريخه:

قال الطبري نقلاً عن أبي مخنف: «وأقام عمر

بن سعد يومه ذلك والغد، ثم أمر حميد بن بكير الأحمري فأذن في الناس بالرحيل إلى الكوفة، وحمل معه بنات الحسين وأخواته، ومن كان معه من الصبيان، وعلي بن الحسين مريض»[1].

ثم روى عن أبي مخنف أيضاً، عن قرة بن قيس قوله: «فما نسيت من الأشياء لا أنسى قول زينب ابنة فاطمة حين مرت بأخيها الحسين صريعاً وهي تقول: يا محمداه، يا محمداه، صلى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعرا، مرمّل بالدما، مقطّع الأعضاء. يا محمداه، وبناتك سبايا، وذريتك مقتّلة تسفي عليها الصبا. قال: فأبكت والله كل عدو وصديق»[2].

وهكذا يستمر الطبري بالسرد، فيذكر (قطف الرؤوس) وإرسالها إلى ابن زياد، وأنه وضع رأس الحسين عليه السلام أمامه وأذن للناس بالدخول إلى القصر، وذكر ما جرى بينه وبين زيد بن أرقم، ثم قال نقلاً عن أبي مخنف أيضاً:

«فلما دخل برأس حسين وصبيانه وأخواته

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٨.
(٢) المصدر السابق.

ونسائه على عبيد الله بن زياد، لبست زينب ابنة فاطمة أرذل ثيابها وتنكّرت، وحفّ بها إماؤها. فلما دخلت جلست، فقال عبيد الله بن زياد: من هذه الجالسة؟ فلم تكلّمه»[1].

ثم روى جانباً من ورود السبايا إلى الكوفة عن راوٍ آخر هو عوانة بن الحكم، قال:

«قال هشام: وأما عوانة بن الحكم الكلبي فإنه قال: لما قتل الحسين وجيء بالأثقال والأسارى، حتى وردوا بهم الكوفة إلى عبيد الله بن زياد، فبينا القوم محتبسون، إذ وقع حجر في السجن، معه كتاب مربوط، وفي الكتاب: خرج البريد بأمركم في يوم كذا وكذا إلى يزيد بن معاوية، وهو سائر كذا وكذا يوماً، وراجع في كذا وكذا. فإن سمعتم التكبير فأيقنوا بالقتل، وإن لم تسمعوا تكبيراً فهو الأمان إن شاء الله»[2].

هذه صورة السبايا في تاريخ الطبري نقلاً عن راويين معروفين، هما أبو مخنف الأزدي، وعوانة بن الحكم، وهي تعكس بما لا يدع مجالاً للشك،

---

(١) المصدر السابق ٤: ٣٤٩.
(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٤.

أنهم كانوا في أشد حالات التضييق والقسوة، وقد حُملوا من أرض المعركة مباشرةً إلى قصر ابن زياد. وهو ما تفعله الجيوش في العادة.

ويلاحَظ هنا أن الطبري حرص كثيراً على ذكر كلّ كلمة رويت عن السيدة زينب عليها السلام أو الإمام السجاد عليه السلام أو غيرهما، حتى ندبتها جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله عند مفارقتها الأجساد الطاهرة، مسبية نحو قصر ابن زياد، وجواب الإمام السجاد عليه السلام لابن زياد. فلو كانت هنالك خطبة في الطريق لكانت أكثر أهمية، وأولى بالذكر مما نُقل تفجعاً وندباً أو جواباً لابن زياد. وأولى مما نُقل عن سنان بن أنس من قوله لابن سعد:

أوقر ركابي فضة أو ذهباً إني قتلت السيد المحجبا

سيما أن دواعي النقل في أعلى درجات القوة والكثرة، خصوصاً في رواية عوانة بن الحكم، مؤرخ الدولة الأموية والمقرب منها.

٦. خليفة بن خياط (ت٢٤٠ هـ):

ذكر ابن خياط في تاريخه نبذاً من أخبار واقعة الطف باقتضاب واختصار، فاكتفى بذكر مقتل الحسين عليه السلام ومن معه، وبعض الحوادث التي

سبقت ذلك. فلم يذكر الأسارى ودخولهم الكوفة، ولا حملهم إلى يزيد في الشام[1].

٧. المسعودي (ت ٣٤٦ هـ):

اكتفى المسعودي في مروج الذهب بذكر ما وقع في كربلاء، دون التطرق إلى دخول السبايا إلى الكوفة. وآخر خبر ذكره[2] هو أمر عمر بن سعد أصحابه أن يوطئوا خيلهم الحسين عليه السلام. كما ذكر بعدها خروج أسماء بنت عقيل في المدينة لما بلغها قتل الحسين عليه السلام وحمل رأسه إلى يزيد، وإنشادها شعراً في ذلك[3].

وذكر في التنبيه والإشراف خبراً موجزاً عن مقتله سلام الله عليه، لم يذكر فيه حال السبايا[4].

٨. أبو الفرج الإصفهاني (٣٥٦ هـ):

قال أبو الفرج: «وأمر ابن زياد لعنه الله وغضب عليه أن يوطأ صدرُ الحسين وظهرُه وجنبُه ووجهُه، فأجريت الخيل عليه، وحُمل أهله أسرى، وفيهم عمر وزيد والحسن، بنو الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وكان الحسن بن الحسن بن علي قد ارتث

---

(١) انظر: تاريخ خليفة بن خياط: ١٧٦. حوادث سنة ٦١.
(٢) انظر: مروج الذهب ٣: ٦٢.
(٣) انظر: المصدر السابق ٣: ٦٨.
(٤) انظر: التنبيه والإشراف: ٢٦٢.

جريحاً، فحمل معهم. وعلي بن الحسين الذي أمه أم ولد، وزينب العقيلة، وأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وسكينة بنت الحسين»[1].

٩. ابن قتيبة الدينوري (ت ٣٧٦ هـ):

لم يرد في مصنفات ابن قتيبة التي تطرق فيها لواقعة كربلاء، أيّ ذكر للحادثة المزعومة وهي التوقف لإلقاء الخطب في الكوفة، قبل دخول قصر ابن زياد.

ففي الإمامة والسياسة تناول أخبار كربلاء حصراً، ثم نقل الأسارى إلى يزيد بن معاوية في الشام[2]. أما مصنفاته الأخرى، كعيون الأخبار، والمعارف، فلم نجد فيها خبراً ذا قيمة عن واقعة الطف برمتها.

١٠. الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ):

ذكر الشيخ المفيد في الإرشاد حوادث ما بعد الشهادة، لا سيما ما جرى في الكوفة، من دخول السبايا على ابن زياد، فلم يرد عنه أيّ ذكر للتوقف وإلقاء الخطب، بل حتى ما نُسب للإمام السجاد عليه السلام

(١) مقاتل الطالبيين: ٦٨.
(٢) انظر: الإمامة والسياسة ٢: ٦.

في بعض المصادر من قوله في النساء الكوفيات: هؤلاء يبكين علينا فمن قتلنا؟

فقد ذكر الشيخ المفيد في الإرشاد تسريح عمر بن سعد برأس الحسين عليه السلام يوم عاشوراء إلى عبيد الله بن زياد، مع حُمَيد بن مسلم الأزدي، وخولي بن يزيد الأصبحي، ثم بعث سائر الرؤوس مع شمر بن ذي الجوشن، وقيس بن الأشعث، وعمرو بن الحجاج. وبقاء ابن سعد بقية اليوم العاشر واليوم الحادي عشر إلى الزوال في كربلاء، ثم نداءه في الناس بالرحيل نحو الكوفة، ومعه بنات الحسين وأخواته مع سائر النساء والصبيان، بالإضافة إلى الإمام السجاد عليه السلام.

ثم أعقب ذلك بالقول: «ولما وصل رأس الحسين عليه السلام، ووصل ابن سعد لعنه الله من غد يوم وصوله، ومعه بنات الحسين عليه السلام وأهله جلس ابن زياد للناس في قصر الإمارة، وأذن للناس إذناً عاماً، وأمر بإحضار الرأس فوضع بين يديه...»[1].

ثم ذكر ما جرى منه مع زيد بن أرقم، ثم إدخال

(١) الإرشاد٢: ١١٤.

السبايا عليه، وما جرى بينه وبين العقيلة من حوار، وكيف غضب من جوابها. ثم ما جرى منه في شأن الإمام السجاد عليه السلام أيضاً، وكيف أنه غضب من جوابه وعزم على قتله. ثم ما جرى من عبد الله بن عفيف الأزدي، واستشهاده.

وفي صباح اليوم التالي بعث ابن زياد برأس الحسين عليه السلام فطيف به في سكك الكوفة وقبائلها. ثم بعثه بعد ذلك إلى الشام، ثم بعث السبايا على أثره إلى الشام أيضاً[1].

فلم يذكر الشيخ المفيد لا تصريحاً ولا تلميحاً، توقّف السبايا في طريقهم إلى قصر ابن زياد، ولا خطبة السيدة زينب عليها السلام ولا غيرها.

ولكن ورد عنه في كتاب الأمالي رواية عن المرزباني من إخباريي المعتزلة، تنتهي إلى الراوي الذي ورد في فتوح ابن أعثم نفسه، ذكرت توقفهم في الكوفة وإلقاء زينب عليها السلام خطبة هناك. وسوف يأتي الكلام عن ذلك بالتفصيل لاحقاً.

---

(١) انظر: الإرشاد٢: ١١٣ ١١٩. ما جرى في الكوفة بعد قتل الإمام الحسين ودخول السبايا على ابن زياد.

١١. الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣):

ذكر الخطيب شيئاً من أخبار الحسين عليه السلام في تاريخه[١]، ومنها بعض أخبار استشهاده. فلم يرد فيها ذكر لحادثة توقف السبايا في الكوفة في طريقهم إلى قصر ابن زياد، ولا إلقاء الخطب.

١٢. ابن عساكر (٥٧١ هـ):

ذكر ابن عساكر في المجلد الرابع عشر من تاريخ دمشق، ترجمة وافية للإمام الحسين عليه السلام ومنها استشهاده في كربلاء. وقد طبعها مجمع إحياء الثقافة الإسلامية في مجلد منفرد[٢]. فلم يرد فيها ذكر لتوقف السبايا في الكوفة لإلقاء الخطب، وهم في طريقهم إلى قصر ابن زياد.

١٣. ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ):

ذكر في المنتظم حوادث اليوم العاشر وما حصل فيه من قتل وسلب، ثم حمل الرؤوس إلى ابن زياد، ثم نصب رأس الحسين في الكوفة، ثم بعثه إلى يزيد[٣]. فلم يذكر شيئاً عن السبايا، ولا توقفهم في

---

(١) انظر على سبيل المثال: تاريخ بغداد١: ١٥١.

(٢) ترجمة الإمام الحسين من تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محمد باقر المحمودي. قم المقدسة، الطبعة الثانية: ١٤١٤ هـ.

(٣) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم٥: ٣٤١.

الكوفة أو إلقاء الخطب، وهم في طريقهم لقصر ابن زياد.

١٤. ابن الأثير (ت٦٣٠ هـ):

ذكر في المجلد الرابع من كتابه الكامل في التاريخ تفصيلاً مطولاً عن واقعة كربلاء، وتطرق لحوادث ما بعد الشهادة بالتفصيل، ومنها قوله: «فأقام عمر بعد قتله يومين، ثمّ ارتحل إلى الكوفة، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان، وعليّ بن الحسين مريض. فاجتازوا بهم على الحسين وأصحابه صرعى، فصاح النساء ولطمن خدودهنّ، وصاحت زينب أخته: يا محمّداه، صلّى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء، مرمّل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا، وذرّيّتك مقتلة تسفي عليها الصّبا. فأبكت كلّ عدوّ وصديق.

فلمّا أدخلوهم على ابن زياد، لبست زينب أرذل ثيابها، وتنكّرت وحفّت بها إماؤها، فقال عبيد الله: من هذه الجالسة؟ فلم تكلّمه، فقال ذلك ثلاثاً وهي لا تكلّمه. فقال بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة. فقال لها ابن زياد: الحمد لله الذي فضحكم وقتّلكم وأكذب أحدوثتكم. فقالت: الحمد لله

الذي أكرمنا بمحمّد وطهّرنا تطهيراً، لا كما تقول، وإنّما يفتضح الفاسق ويكذّب الفاجر»[1].

فلم يذكر توقف السبايا في الطريق، ولا إلقاء الخطب، بل يظهر جلياً من سرده المذكور أنهم نُقلوا مباشرة من أرض المعركة مقيدين إلى قصر ابن زياد.

ومثل هؤلاء المؤرخين: الذهبي، وابن كثير، وغيرهما.

خلاصة ذلك: أن خبر توقف السبايا في الكوفة في طريقهم إلى قصر ابن زياد، وكأنهم كانوا أحراراً في مخاطبة الناس وإلقاء الخطب، لم يُنقل في جميع التواريخ، لا سيما القديمة منها والمعتبرة، إلا ما جاء من خبر واحد شاذ، مرسل، في كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي، الذي سوف نتناوله بالدراسة والتحليل. وهو الذي شاع فيما بعد في بعض المقاتل، وانتشر بين الشيعة.[2]

❊❊❊

(١) انظر: الكامل في التاريخ ٤: ٨١.

(٢) لمتابعة التسلسل الزمني للمصادر انظر الجدول رقم (١) في الملحق.

المحور الثاني :
الخبر الشاذ في فتوح ابن أعثم

تفرّد ابن أعثم الكوفي[1] من بين سائر التواريخ، المتقدمة بالخصوص، بل التواريخ المعتبرة المعاصرة أو اللاحقة له، بذكر حادثة توقّف أسارى آل محمد صلى الله عليه وآله في الكوفة[2]، عند جلبهم إليها من

(١) ليست هناك الكثير من المعلومات عن هذا المؤرخ، ولم يصل إلينا من كتبه سوى كتاب الفتوح. ولكن يظهر مما ذكروه من سنة وفاته (وهي ٣١٤ هـ أو ٣٢٠ هـ) أنه مولود في أواخر العصر العباسي الأول، وعلى وجه التقريب في أيام الواثق العباسي، أي في حدود سنة ٢٣٠ هـ على فرض أن عمره في حدود الثمانين عاماً أو أكثر بقليل. أي أن ولادته كانت بعد حوالي ١٧٠ عاماً من واقعة الطف. وعلى فرض أنه كتب كتابه هذا ما بين عمر العشرين والثلاثين، فيكون تدوينه للحوادث بعد قرنين من واقعة الطف. وقد حفل هذان القرنان بالأحداث المتلاحقة، وأسس العباسيون فيهما أكبر منظومة دعائية للنيل من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وعملوا على ترسيخ نظرية (تخوين الشيعة والحط من شأن أئمتهم) في الوعي العام، وبالخصوص شيعة العراق وأهل الكوفة.

(٢) وقد نسبها بعض المتأخرين لكتاب البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) وهو من كتب الأدب، إلا أنني راجعت أبرز الطبعات المتوفرة اليوم، فلم أجدها في واحدة منها، مع أنها قوبلت وطبعت

بإشراف أساتذة متخصصين، قابلوها على نسخ خطية متعددة. وقد صرح بعضهم أن من مشكلات هذا الكتاب اختلاف النسخ بشكل كبير. فمن المحتمل أن تكون في إحدى النسخ التي لم تصل إلينا، أو أنها أضيفت فيما بعد لإحدى النسخ، أو أنها لم ترد فيه مطلقاً، أو حصل الخلط بينه وبين بلاغات النساء لابن طيفور الذي نسبها لأم كلثوم. مع ملاحظة أن الذين نسبوها للجاحظ في البيان والتبيين، لم يذكروا أنهم وجدوها في إحدى مخطوطاته. فيقتضي أنهم نقلوها من المطبوع، لكننا لم نجدها فيه.

انظر في تعدد واختلاف نسخ البيان والتبيين: مقدمة التحقيق للكتاب المذكور، للدكتور محمد عبد السلام هارون.

مع أن وجودها في البيان والتبيين لا ثمرة له في هذه المرحلة من البحث، سوى أنه يثير الشك أكثر بوضعها، لأن الجاحظ متهم أكثر من غيره بالتزوير والوضع، بدافع النصب والعداوة لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم. فقد ذكر خطبة الوداع الشهيرة مثلاً في كتابه هذا، ولكن لم يرد فيها حديث الغدير، ولا حديث الثقلين، مع أنهما من المتواترات عند جميع المسلمين في هذه الخطبة.

انظر: البيان والتبيين ٢: ٣١. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة. الطبعة السابعة، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر: ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م.

كما أنهم لم يذكروا لها سنداً في البيان والتبيين، واكتفوا بالإرسال عن خزيمة الأسدي، كما في فتوح ابن أعثم بلا فرق، أو ذكروا راوياً واحداً عن خزيمة هو أبو إسحاق السبيعي، وذلك لا يُخرج الرواية عن الإرسال.

وأما بلاغات النساء لابن طيفور (ت٢٨٠ هـ) وهو من كتب الأدب أيضاً فقد نسبها لأمّ كلثوم لا لزينب، وعن الراوي نفسه، مع اختلاف تصحيفي كما يظهر، وسوف تعرف أسبابه وتفاصيله. كما جعل لها سنداً آخر ملفقاً لا نظير له في الأسانيد، لا يصح اعتماده، كما سيأتي مفصلاً.

ولكن من حيث القدم الزمني يلاحظ أن الجاحظ أقدم من ابن طيفور وابن أعثم الكوفي، فعلى فرض وجودها في البيان والتبيين، يُحتمل بشكل كبير أن ابن أعثم أخذها عنه. كما أن الراوي المنقول عنه واحد، هو خزيمة الأسدي. أما المصادر الأخرى المتأخرة عن ابن أعثم الكوفي، فلم تأت بجديد سوى تصحيفها الفاحش لاسم

كربلاء في طريقهم إلى قصر ابن زياد، وإلقاء العقيلة الطاهرة عليها السلام خطبة بين الناس، وذكر نصّاً لخطبتها.

وهو مؤرخ مغمور من مؤرخي الدولة العباسية، ولا توجد الكثير من المعلومات عن شخصه وسيرته، إنما عُرف من خلال تاريخه الذي ينتهي لأيام المقتدر العباسي.

فقد ذكر ابن أعثم دخول السبايا إلى الكوفة في طريقهم إلى قصر ابن زياد، بقوله: «وساق القومُ حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كربلاء كما تساق الأسارى، حتى إذا بلغوا بهم إلى الكوفة، خرج الناس إليهم فجعلوا يبكون وينوحون. قال: وعلي بن الحسين في وقته ذلك قد نهكته العلة فجعل يقول: ألا إن هؤلاء يبكون وينوحون من أجلنا فمن قتلنا؟»[1].

الراوي، بحيث لم يستطع أحدٌ الثبات على اسم واحد، أو ترجيح أحدها. فالمصدر الأول يدور بين (كتاب تاريخي) هو فتوح ابن أعثم، وكتابين من كتب الأدب هما بلاغات النساء والبيان والتبيين، لكن الأول لم ينسبها لزينب عليها السلام والثاني لم نجدها فيه.

لذا سوف نعتمد فتوح ابن أعثم مصدراً أول للخطبة، لكونه كتاباً تاريخياً معنياً بنقل الحوادث التاريخية من جهة، ومن جهة أخرى عدم عثورنا عليها في البيان والتبيين، وعدم نسبتها للسيدة زينب عليها السلام في بلاغات النساء.

(١) الفتوح٥: ١٢٠. وقد ذكر قبله اليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ) عبارة موجزة عن دخول الأسارى إلى الكوفة، وهي قوله: «لما دخلن إليها

ولم ينسب هذه المعلومة لراوٍ سابق، أو مؤرخ بعينه، أو أحد مصنفي المقاتل.

ثم ذكر خطبة نسبها إلى السيدة زينب عليها السلام بقوله: «قال خزيمة الأسدي[1]: ونظرتُ إلى زينب بنت

خرجت نساء الكوفة يصرخن ويبكين، فقال علي بن الحسين: هؤلاء يبكين علينا فمن قتلنا؟». ولم يزد على ذلك. وهي العبارة الوحيدة التي وردت في بعض المصادر القديمة. فلم يذكر أنهم وقفوا لإلقاء الخطب، كما لم يذكر غيره من المؤرخين هذه الحادثة، التي سوف تعرف أنها مفترضة مزعومة لا أصل لها. انظر: تاريخ اليعقوبي٢: ٢٤٥.

(١) قال محقق الكتاب: «عن الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، وبالأصل: بشر بن حريم». وهي عبارة غريبة حقاً! فالمقصود بالأصل هنا هو النسخ المخطوطة من فتوح ابن أعثم، والمحقق ملزم بإثبات ما في الأصل، أو التصحيح من مصدر موثوق بعد التحقق من الاسم، بمراجعة كتب السير والرجال والتاريخ المتقدمة. مع أن المنقول عن الأصل في سائر المصادر هو خزيمة الأسدي وليس بشر بن حريم.

فالدر المنثور لزينب فواز العاملية، التي أخذته عن نور الأبصار للشبلنجي الشافعي، وكلاهما من المصادر المتأخرة، إذ توفيت زينب فوّاز العاملية، مصنفة الدر المنثور، سنة ١٣٣٢ هـ الموافق١٩١٤م، وتوفي الشبلنجي الشافعي سنة ١٢٦٧ هـ وهو من علماء الأزهر. فلا يُعتمد على كلا المصدرين في ضبط الأسماء القديمة، إن وجد فيهما. مع أن ما فيهما مطابق لما نقله غيره عن أصل الفتوح.

جاء في الدر المنثور في طبقات ربات الخدور: «وفي «نور الأبصار» عن خزيمة الأسدي قال: دخلنا الكوفة سنة إحدى وستين.. ». انظر: زينب فواز، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور: ٢٣٣. ط المطبعة الكبرى الأميرية في مصر. الطبعة الأولى: ١٣١٢ هـ. وفي طبعة مؤسسة الريان: ٣٨٢. بيروت، تحقيق: منى محمد زياد الخراط. الطبعة الأولى: ١٤١٢ هـ ٢٠٠٠ م. رقم الترجمة: ٢٥٥.

كما ورد في نور الأبصار الذي أخذت عنه المصنفة باسم: خزيمة الأسدي. قال الشبلنجي: «ذكر الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، عن أبي إسحاق، عن خزيمة الأسدي قال: دخلت الكوفة سنة

علي رضي الله عنه يومئذٍ، ولم أر حفرة[1] قطّ أفصح منها، كأنها تنطق عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فأومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدّت الأنفاس، ثم قالت: الحمد لله وصلواته على أبي محمد رسول الله وعلى آله الطاهرين الأخيار. أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل[2] والخذل[3].] أتبكون [فلا رقّت لكم دمعة، إنما مثلكم كمثل التي ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً تَتَّخِذُوْنَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾[4].]ألا[بئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون. أتبكون وتنتحبون؟ أي والله، فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، كل ذلك بانتهاككم حرمة ابن خاتم الأنبياء، وسيد شباب أهل الجنة غداً،

إحدى وستين... إلخ». نور الأبصار: ٣٨١. المكتبة التوفيقية، القاهرة. تقديم: عبد العزيز محمد سالمان. فالاسم المذكور هو خزيمة الأسدي، سواء فيما نقله الشبلنجي عن الجاحظ، أو ما نقلته عنه زينب فواز.

(١) في مصادر أخرى: خَفِرَة.

(٢) الختل: الخداع. وفي بعض المصادر: الختر، وهو الغدر، وضده الوفاء. يقال: رجلٌ ختّار: غدّار.

(٣) الخذل: تركك نصرة أخيك. ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيطانُ للإنْسَانِ خَذُولاً﴾. الفرقان: ٢٩.

(٤) النحل: ٩٢.

وملاذ حضرتكم[1]، ومفزع نازلتكم[2]، ومنار حجتكم[3]، ومِدْرَه[4] سنتكم. ألا ساء ما تزرون، وبُعداً لكم وسحقاً. فلقد خاب السعي، وتبّت الأيدي، وخسرت الصفقة، وتوليتم بغضب الله، وضُربت عليكم الذلة والمسكنة.]أتدرون[.

ويلكم يا أهل الكوفة، أي كبد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فريتم، وأي دم له سفكتم، وأي حريم له ورثتم، وأي حرمة له انتهكتم ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئَاً إِدّاً ۞ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً﴾[5]. لقد جئتم بها خرقاء شوهاء، طلاع الأرض، أفعجبتم إن أمطرت السماء دماً،

---

(١) اختلفوا في ضبط هذه العبارة، ففي أمالي المفيد والطوسي: ملاذ خيرتكم. وفي الاحتجاج: ملاذ حربكم. ولم ترد في النص المروي في بلاغات النساء، ولا في مثير الأحزان.

(٢) في بلاغات النساء: ومفرخ نازلتكم. ولم ترد في مثير الأحزان، وبعض المصادر الأخرى التي نقلت الخطبة. والنازلة: المصيبة.

(٣) في أمالي المفيد والطوسي: وأمارة محجتكم. وفي الاحتجاج: ومعاذ حزبكم. وفي مثير الأحزان: ومنار محجتكم، وهو مطابق لبلاغات النساء.

(٤) المِدرَه: زعيم القوم والمتكلم عنهم. والسّنة: القحط والجدب. يقال: قومٌ مُسنتون: أصابهم القحط. وفي اللهوف: ومَدَرة سُنّتِكم. وفي بلاغات النساء: مدرةِ حجتكم. وفي الأمالي للشيخين: ومدرجة حجتكم. وفي الاحتجاج للطبرسي: مدرة حججكم. ولم ترد في مصادر أخرى نقلت الخطبة.

(٥) مريم: ٨٩، ٩٠.

ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون. فلا يستخفنكم المهل، ولا يحقره البدار[1]، ولا يخاف [عليه[فوت الثأر. كلا ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[2].

قال خزيمة: فوالله، لقد رأيت الناس يومئذٍ حيارى قد ردوا أيديهم في أفواههم. قال: ونظرت إلى شيخ من قدماء أهل مكة، وقد بكى حتى اخضلّت لحيته، وهو يقول: قد صدقت المرأة، كهولهم خير كهول، وشبابهم خير شباب، إذا نطقوا نطق سحبان»[3].

فلم ينسب هذه الخطبة لمصدر سابق محدد، ولا راوٍ أو مؤرخ، ولم يذكر لها سنداً، سوى الإرسال عن راوٍ اسمه (خزيمة الأسدي) الذي سوف نعرف شأنه وحاله.

❊❊❊

(١) كذا في المصدر، والعبارة لا تستقيم مع ما قبلها. والصحيح ما ذكرته المصادر المتأخرة، وهو: فإنه لا يحفزه البدار.

(٢) الفجر: ١٤.

(٣) الفتوح٥: ١٢٢. دار الأضواء، بيروت، تحقيق: علي شيري. الطبعة الأولى: ١٤١١ هـ ١٩٩١ م.

المحور الثالث:
ما نسب لأم كلثوم في بلاغات النساء

هنالك نصّ آخر يكاد يكون مطابقاً لما سبق مع بعض الإضافات والتغيير، ذكره ابن طيفور (ت ٢٨٠ هـ) في بلاغات النساء، لكنه نسبه لأم كلثوم بنت علي، لا إلى زينب عليها السلام، مع الإسناد لراوٍ مشابه في الاسم لمن روى عنه ابن أعثم، بل يظهر من تشابه النص إلى ما يقرب من التطابق، أنه هو لا غيره، وهو كما يلي:

قال ابن طيفور: «كلام أم كلثوم عليها السلام: عن سعيد بن محمد الحميري أبو معاذ، عن عبد الله بن عبد الرحمن، رجل من أهل الشام، عن شعبة، عن حذام الأسدي[1].

(١) سوف يأتي لاحقاً أنه خزيمة الأسدي نفسه، الذي ذكره ابن أعثم، ولكن جرت عليه الكثير من التصحيفات، لغرض سوف تعرفه، وهذا هو التصحيف الأول.

وقال مرة أخرى: حذيم[1]. قال: قدمت الكوفة[2] سنة إحدى وستين، وهي السنة التي قتل فيها الحسين عليه السلام فرأيت نساء أهل الكوفة يومئذٍ يلتَدِمنَ، مهتكات الجيوب.

ورأيت علي بن الحسين عليه السلام وهو يقول بصوت ضئيل، وقد نحل من المرض: يا أهل الكوفة، إنكم تبكون علينا فمن قتلنا غيركم؟[4].

ثم ذكر الحديث، على لفظ هارون بن مسلم كما زعم، قال:

«وأخبر هارون بن مسلم بن سعدان قال: أخبرنا يحيى بن حمّاد البصري، عن يحيى بن الحجاج، عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: لما أدخل بالنسوة

---

(١) هذا هو التصحيف الثاني لكلمة «خزيمة». وسوف يأتي المزيد. والتردد من شعبة بحسب هذه الرواية يعني أنه لم يحدد اسمه بالتحديد، لا أنه تصحيف من النُّسّاخ. بمعنى آخر: إنه تصحيف مقصود ومتعمد. أو أن شعبة لم يكن يعرف الراوي على الإطلاق، فكيف يروي عمّن لا يعرف اسمه؟ وكذلك ابن طيفور لم يكن يعرفه وإلا لصحّح الاسم وحدد اسم الراوي بالتحديد. لكنها في الحقيقة رواية ابن أعثم نفسه، تعمد بعضهم تصحيف اسم «خزيمة الأسدي» فيها.

(٢) يظهر من هذه العبارة أن الراوي المزعوم لم يكن من أهل الكوفة.

(٤) قال محقق الكتاب في الهامش: كان أهل الكوفة كاتبوا الحسين بالبيعة له ونصرته على يزيد، ووعدوه بالقيام معه إن أتى إليهم، فلما ذهب الحسين إليهم قتله عسكر يزيد في الطريق، ولم يجد من أهل الكوفة ما وعدوا!. وهو من عجائب الجهل التي لا تنقضي.

من كربلاء إلى الكوفة، كان علي بن الحسين عليه السلام ضئيلاً قد نهكته العلة. ورأيت نساء أهل الكوفة[1] مشققات الجيوب على الحسين بن علي عليه السلام فرفع علي بن الحسين بن علي عليه السلام رأسه فقال: ألا إن هؤلاء يبكين، فمن قتلنا؟. ورأيت[2] أم كلثوم عليها السلام ولم أر خفرة والله أنطق منها كأنما تنطق وتفرغ على لسان أمير المؤمنين عليه السلام وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا. فلما سكنت الأنفاس، وهدأت الأجراس، قالت: أبدأ بحمد الله والصلاة والسلام على نبيه، أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الخَتْر والخذل، ألا فلا رقأت العبرة[3]، ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التي ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً تَتَّخِذُوْنَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾[4].

---

(١) لاحظ لسان الرواية المطابق لما ورد عن «خزيمة الأسدي» في الفتوح، أو في بلاغات النساء مع تصحيف اسم الراوي (خزيمة). وإلا فكيف تتناسب الرواية عن آبائه مع القول: ورأيتُ نساء أهل الكوفة؟ فمن هذا الذي رآهن يا ترى؟ وسوف يأتي أن هذا السند ظهر متأخراً في العصر الحديث، بعد طباعة كتاب بلاغات النساء في مصر، عن نسخة خطية في المدينة المنورة.

(٢) المتكلم راوٍ واحد، ولكن لم يُذكر اسمه، مع أنه بحسب الفرض من آباء الإمام الصادق عليه السلام.

(٣) رقأت: جفّت.

(٤) النحل: ٩٢.

ألا وهل فيكم إلا الصَّلَفُ[1] والشَّنَف[2]، ومَلقُ الإماء[3]، وغمز الأعداء[4]، وهل أنتم إلا كمرعى على دمنة[5]، وكفضة على ملحودة[6]. إلا ساء ما قدمت أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون. أتبكون؟ إي والله فابكوا، وإنكم والله أحْرياء[7] بالبكاء، فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد فُزتم بعارها وشنارها[8]، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنى ترحضون

---

(١) الصلف: الإكثار من مدح النفس بما ليس فيها.

(٢) الشَّنَف: شدة البغض. وفي أمالي المفيد: والصدر الشنف. ونقلها البحراني في العوالم عن المفيد والطوسي: «الطلف والسرف». ثم قال: «هكذا في الأصل والبحار، وفي أمالي المفيد: الصلف النطف، والصدر الشنف، وفي أمالي الطوسي: الصلف الظلف، والضرم الشرف». عوالم المعالم ١٧: ٣٧١.

(٣) الملق: اللين والتلطف. وإضافته للإماء تحقير للمخاطب، أنه ضعيف الشخصية لا يشبه الرجال الأشداء.

(٤) الغمز: الطعن والعيب. والإضافة إذا كانت للفاعل، تعني أنهم أعداء لأهل البيت عليهم السلام، أما للمفعول فتعني غمز عدوكم وهم أهل البيت عليهم السلام أيضاً.

(٥) مثل متعارف عند العرب، يضرب للظاهر الحسن في منبت السوء، ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله: «إياكم وخضراء الدمن». وقول زفر بن الحارث الكلابي (ت ٦٥ هـ):

وقد يُنبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

(٦) في المناقب لابن شهرآشوب: «أو كَقَصّة على ملحودة». والقصة: الجص. وهو الصحيح.

(٧) جمع الحري، وهو الخليق أو الجدير بالشيء.

(٨) الشنار: العيب والعار.

قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة، وسيد شُبان أهل الجنة، ومنار محجتكم، ومدره حجتكم، ومفرخ نازلتكم. فتعساً ونكساً، لقد خاب السعي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله وضربت عليكم الذلة والمسكنة. ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئَاً إِدّاً ۞ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتفطَّرْنَ منهُ وتَنْشقُّ الأَرضُ وتَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً﴾[1].

أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم؟ وأي كريمة له أبرزتم؟ وأي دم له سفكتم؟ لقد جئتم بها شوهاء خرقاء، شرُّها طلاع الأرض والسماء، أفعجبتم أن قطرت السماء دماً ﴿وَلَعَذابُ الآخِرةِ أَخْزَى وهُمْ لا يُنْصَرُون﴾[2]. فلا يستخفنكم المهل، فإنه لا تحفزه[3] المبادرة، ولا يُخاف عليه فوت الثار، كلا إن ربك لنا ولهم لبالمرصاد. ثم ولت عنهم.

قال[4]: فرأيت الناس حيارى، وقد ردوا أيديهم

---

(١) مريم: ٨٩، ٩٠.

(٢) فصلت: ١٦. وفي الأصل: يُنظرون. وفي الفتوح: وأنتم لا تنصرون.

(٣) تحفزه: تُعجله. والحفز: حثُّك الشيء من خلفه.

(٤) لسان الرواية هنا أيضاً عن راو واحد، هو خزيمة الأسدي الذي ذكره ابن أعثم، وذكره ابن طيفور مصحفاً مرتين أيضاً، في حين أن هذه الرواية بحسب الزعم تنتهي إلى الإمام الصادق عليه السلام (عن آبائه). وكذا في سائر الرواية حتى نهايتها.

إلى أفواههم، ورأيت شيخاً كبيراً من بني جعفي، وقد اخضلت لحيته من دموع عينيه، وهو يقول:

كهولهم خير الكهول ونسلهم إذا عُدّ نسل لا يبورُ ولا يخزى[1]

وحدثنيه عبد الله بن عمرو، قال: حدثني إبراهيم بن عبد ربه بن القاسم بن يحيى بن مقدم المُقدَّمي، قال: أخبرني سعيد بن محمد أبو معاذ الحميري، عن عبد الله بن الرحمن، رجل من أهل الشام، عن حذام الأسدي[2]، قال: قدمت الكوفة سنة إحدى وستين وهي السنة التي قتل فيها الحسين بن علي عليهما السلام فرأيت نساء أهل الكوفة يومئذ قياماً يلتدمن مهتكات الجيوب. ورأيت علي بن الحسين عليه السلام وهو يقول بصوت ضئيل، قد نحل من المرض: يا أهل

---

(١) هذا البيت ذكره البلاذري المعاصر لابن طيفور، وهو لحذافة بن غانم العدوي، قاله في ابنه من قصيدة ذكر بعضها. وذكر ابن هشام في السيرة، أن القصيدة لحذيفة بن غانم، قالها في رثاء عبد المطلب بن هاشم، وهو الصحيح، لورود لقب عبد المطلب فيها، ومنها:

بني شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيء ظلام الليل كالقمر البدرِ
كهولهم خير الكهول ونسلهم كنسل الملوك كلهم طيب النشر

وذكر ابن أبي الحديد أيضاً أن شيخه أبا عثمان ذكر أن هذا الشعر لحذافة العذري، وأنه في كتاب النسب للزبير بن بكار، وفيه:

كهولهم خير الكهول ونسلهم كنسل الملوك لا يبورُ ولا يجري

(٢) الراوي نفسه الذي ذكره قبل قليل عن شعبة مردَّداً بينه وبين حذيم، وهو نفسه خزيمة الأسدي عند ابن أعثم الكوفي في الفتوح.

الكوفة، إنكم تبكون علينا فمن قتلنا غيركم؟

وسمعت أم كلثوم بنت علي عليهما السلام وهي تقول، فلم أر خفرة والله أنطق منها، كأنما تنزع عن لسان أمير المؤمنين علي عليه السلام وأشارت إلى الناس أن أمسكوا، فسكنت الأنفاس وهدأت. فقالت: الحمد لله رب العالمين، والصلاة على جدي سيد المرسلين، أما بعد يا أهل الكوفة. والحديث على لفظ ابن سعدان»[1].

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن ابن طيفور نقل قبل هذه الخطبة، خطبة العقيلة زينب عليها السلام في الشام في قصر يزيد بن معاوية. أي أنه لم يخلط بين الاسمين كما قد يظن بعضهم، أو يعتقد أن «أم كلثوم» هنا كنية لزينب عليها السلام، إنما كان يفرّق بين زينب العقيلة وأم كلثوم.

وطبقاً لما ذكره ابن طيفور، تكون الخطبة المزعومة في الكوفة لأم كلثوم لا لزينب، على خلاف ما ذكره ابن أعثم في الفتوح.

كما يلاحظ أيضاً: أن التسلسل الزمني مثير للريبة والتساؤل، إذ يقتضي أن يذكر ما حصل في

---

(١) بلاغات النساء: ٢٧. مطبعة والدة عباس الأول، القاهرة: ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م. تحقيق: أحمد الألفي.

الكوفة قبل ما حصل في الشام، وليس العكس. مما يوحي أن هذه الخطبة المزعومة لأم كلثوم حُشرت في بلاغات النساء فيما بعد، إما من بعض النُّساخ أو غيرهم. لكننا سنتعامل معها علمياً، بحسب نسبتها الظاهرة للكتاب ومصنفه.

ثم دخلت هذه الخطبة المنسوبة للسيدة زينب عليها السلام التي ظهرت في بعض المصادر المتزامنة[1]، أهمها فتوح ابن أعثم كما تقدم إلى مصادر الشيعة عن طريق أمالي الشيخ المفيد[2] رحمه الله (ت ٤١٣

(١) أدرك ابن طيفور حوالي ٥٣ سنة من حياة الجاحظ، لأن ابن طيفور ولد سنة ٢٠٤ هـ والجاحظ توفي سنة ٢٥٥ هـ. أما ابن أعثم، فقد توفي سنة ٣١١ هـ أو ٣٢٠ هـ فلا شك أنه أدرك ابن طيفور وشطراً من حياة الجاحظ. ولا أقل أنهما سبقاه في الكتابة، وربما أخذ ذلك عن أحدهما.

(٢) لم يذكر الشيخ المفيد هذه الرواية للواقعة المزعومة في الكوفة في كتاب الإرشاد، الذي أسهب فيه بذكر حوادث ما بعد الشهادة، وهو كتاب تاريخي مهم اعتمد فيه على التواريخ المشهورة، ومنها تاريخ الطبري وغيره، لا سيما ما نقله الطبري عن أبي مخنف. إنما ذُكرت في أماليه رحمه الله، وهو في أغلبه من روايات العامة، ونسخه مختلفة فيما بينها، وأقدم النسخ المتوفرة تعود للقرن الثامن.

قال محقق كتاب الأمالي: «والكتاب كما ترى، أكثر أخباره من طرق العامّة، وأسانيدها مشتملة على كثيرين من رجالهم، وصُحّف أكثرها بالتشابه الخطّيّ، وحرّف بعضها بتعكيس النّسبة والمنسوب..».

حسين أستاد ولي، مقدمة الأمالي: ٢٦. الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، المطبعة الإسلامية، قم، الطبعة الأولى: ١٤٠٣ هـ.

أما عن النسخ التي اعتمدها في التحقيق، فهي أربع نسخ خطية مختلفة الأحجام والأبعاد، إضافة إلى نسخة أخرى مطبوعة في ما

هـ)، نقلاً عن أحد إخباريي وأدباء المعتزلة، وهو المرزباني. ثم رواها الشيخ الطوسي رحمه الله (ت ٤٦٠ هـ) في أماليه عن الشيخ المفيد. ثم نقلتها بعد ذلك بعض مصادر الشيعة الأخرى كالاحتجاج واللهوف ومثير الأحزان، وأضافت خطباً أخرى مماثلة، للإمام السجاد عليه السلام، وأم كلثوم، وفاطمة الصغرى. وقُرئت على منابر الشيعة بكثرة، وتداولها الخطباء وقرّاء العزّاء من مختلف البلدان والقوميات، فأصبحت جزءاً من الوعي والثقافة الشيعية العامة.

***

مضى في النجف الأشرف، مقابلة على نسختين من النسخ الأربع. وهذه النسخ كما ذكرها المحقق هي:

١ نسخة في مكتبة السيد المرعشي النجفي في قم، يعود تاريخ نسخها إلى القرن الثامن الهجري وبالتحديد سنة ٧٥٥ هـ وهي أقدم نسخة خطية لأمالي المفيد. قال عنها محقق الكتاب: «ومن المؤسف عليه أن النسخة ناقصة، لفقد أوراق منها».

٢ نسخة أخرى في مكتبة السيد المرعشي أيضاً، لم يذكر تاريخها ولا كاتبها، ولكن وجد المحقق في هامش الصحيفة الأولى منها أن تاريخ نسخها سنة ١٢٩٥ هـ فهي نسخة متأخرة جداً، في القرن الثالث عشر.

٣ نسخة من مكتبة ميرزا أبي طالب القمي، مجهولة الكاتب وتاريخ الكتابة.

٤ نسخة من مكتبة السيد جلال الدين الأرموي، مجهولة الكاتب والتاريخ أيضاً.

المحور الرابع:
حال الراوي المباشر

تقدم فيما مضى أن الخطبة المنسوبة للسيدة زينب عليها السلام في فتوح ابن أعثم، ومثلها المنسوبة لأم كلثوم عن ابن طيفور، متّحدتان مضموناً، بل حتى لفظاً، باستثناء بعض الزيادات والتغيير. وهذا هو الإشكال الثاني الذي تواجهه هذه الرواية، بعد الإشكال الأول، وهو عدم نقلها في سائر التواريخ، فالمصدران لم يتفقا على شخص المتكلم بالتحديد: فهل هي السيدة زينب، أو أم كلثوم؟

أما الإشكال الثالث: فهو كون الرواية مرسلة في فتوح ابن أعثم، ولم تُنسب لمصدر معين من مصادر التاريخ أو أحد المقاتل، إنما نسبها مباشرةً إلى راوٍ يدعى (خزيمة الأسدي)، وهو الراوي ذاته في بلاغات النساء مع تغيير طفيف أقرب للتصحيف.

كما نسبتها بعض المصادر المتأخرة إلى الراوي نفسه أيضاً (خزيمة الأسدي) نقلاً عن البيان والتبيين، الذي لم نجدها في طبعاته المتداولة.

أما الإشكال الرابع: فهو اختلاف أسماء الراوي، المذكور سابقاً في فتوح ابن أعثم، في المصادر المتأخرة التي أخذت عنه أو عن الجاحظ أو ابن طيفور، حيث ذُكرت للراوي المزعوم أسماء أخرى متباينة غير هذا الاسم (خزيمة الأسدي) بلغ إحصاؤها عندي تسعة عشر اسماً غير الاسم المذكور، فيكون المجموع عشرين اسماً! وكلّها لا وجود لها في كتب التراجم والسير والتواريخ، باستثناء الاسم الأول (خزيمة الأسدي) الوراد في فتوح ابن أعثم، والمنسوب للبيان والتبيين، واسم آخر هو (حذلم بن بشير) من رواة العامة، وهذا لا علاقة له بالرواية المذكورة كما سيأتي. فيما ثبتت بعض المصادر على الاسم الأول، وهو خزيمة الأسدي، فجعلته العمدة في رواية الخطبة.

بل وجدنا ظاهرة تعدد الأسماء حتى في المصدر الواحد للمصنف الواحد، كما في بلاغات النساء، الذي يُعد من أقدم المصادر التي ذكرت الخطبة،

وأسندتها للراوي المذكور، وإن كانت قد نسبتها لأم كلثوم. كما وجدنا هذا التباين في مصادر الشيعة التي أخذت هذه الرواية عنهم، كما في أمالي المفيد والطوسي، والمصادر التي تلتها كالاحتجاج واللهوف. حتى بلغ الأمر أن تجد في النسخة الواحدة أسماء مختلفة للراوي نفسه.

فيا ترى ما هو السر الكامن وراء هذه الظاهرة؟ ولماذا تباينت أسماء الراوي، المذكور أولاً في فتوح ابن أعثم، وهو (خزيمة الأسدي) لتصل إلى العشرين؟

سوف نستعرض أولاً ما استطعنا العثور عليه من تلك الأسماء المتعددة المتباينة للراوي المذكور، لندرك بعدها السر الكامن وراء هذا الاضطراب الكبير في تحديد اسمه، فضلاً عن كون الرواية في أصلها بلا مصدر ولا سند سابق، وأن الكتب الثلاثة التي يدور الأمر حول كونها الأصل في روايتها، من كتب العامة لا من كتب الشيعة، وأنها متزامنة إلى حدّ كبير.

ما ذكروه من أسماء لراوي الخطبة المفترض:

بالرجوع للمصادر التي نقلت عن فتوح ابن أعثم، أو بلاغات النساء، أو ما نسبته للبيان والتبيين للجاحظ، عن الراوي الوحيد في الرواية المرسلة الوحيدة، تجد أنها لم تستقر على اسمٍ محدد ثابت للراوي المباشر المفترض، كما تجد أنَّ جميع تلك الأسماء لا وجود لها في كتب السير والتراجم، ولم تُنقل عنها روايات، باستثناء الاسم الأول الذي ذكره ابن أعثم، وهو «خزيمة الأسدي». واسم آخر سوف يأتي ذكره، ولكن لم ينسبوا إليه أنه روى تلك الحادثة. وقد استقرأنا الكتب التي نقلت الحادثة بعد عصر ابن أعثم وابن طيفور، وهو القرن الثالث، فكانت الحصيلة هي الأسماء التالية:

١. خزيمة الأسدي:

وهو الاسم الوارد في الأصل التاريخي الأول للخطبة، وهو فتوح ابن أعثم، أو عند من نسبوا الخطبة للبيان والتبيين.

قال الشيخ علي النمازي في مستدركات علم الرجال: «خزيمة الأسدي: نقل خطبة الصديقة

زينب الكبرى عليها السلام في الكوفة. وروى عن مولانا السجاد عليه السلام»[1].

كما نسبها النمازي للبيان والتبيين دون ذكر رقم الصحيفة. قال: «عن الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، عن أبي إسحاق[2]، عن خزيمة الأسدي، قال: دخلنا الكوفة[3] سنة إحدى وستين فصادفت منصرف علي بن الحسين عليه السلام بالذرية من كربلاء إلى ابن زياد بالكوفة»[4].

فقد اعتمد النمازي في ذلك إما على ما نسبوه للبيان والتبيين، أو على فتوح ابن أعثم، وليس هناك مصدر آخر.

لكنه في الجزء الثاني من مستدركات علم

---

(١) مستدركات علم الرجال ٣: ٣٢٧.

(٢) واسمه عمرو بن عبد الله بن عبيد (أو علي)، من أهل الكوفة من أصحاب الصادق عليه السلام، مجهول، ويبدو أنه من العامة. قال السيد الخوئي في ترجمته: «ولا يبعد أن يكون الرجل من العامة». قيل: إنه مات سنة ١٢٦ هـ أو بعدها بسنة أو سنتين. وابنه يونس بن أبي إسحاق، عامي شديد التعصب، روى أكذوبة خذلان أهل الكوفة لمسلم بن عقيل، كما سيأتي في حينه.
أضف إلى ذلك أننا لا ندري من هو الراوي عن أبي إسحاق السبيعي هذا، كما أن روايته لا تتعدى الراوي الوحيد المختلف كثيراً في اسمه، ولا تعرف هويته.

(٣) هذا شاهد آخر على كون الراوي المفترض ليس كوفياً.

(٤) مستدرك سفينة البحار ٤: ٣١٤.

الرجال، ذكره بعنوان «حذيم بن شريك الأسدي» قال: «حذيم بن شريك الأسدي: من أصحاب السجاد عليه السلام قاله الشيخ في رجاله. وروى الطبرسي في الاحتجاج عنه حديث ورود السجاد عليه السلام مع أهل البيت بالكوفة، وخطبة زينب الكبرى في الكوفة»[1].

هذا يعني أن اسمه تغير هنا من (خزيمة الأسدي)، إلى (حذيم بن شريك الأسدي)، مع أن المصنف واحد، هو الشيخ النمازي.

كما ذكره في موضع آخر من المستدركات أيضاً بعنوان: بشير بن جزيم الأسدي:

قال: «بشير بن جزيم الأسدي: لم يذكروه. وهو راوي خطبة مولاتنا زينب عليها السلام بالكوفة»[2].

فالشيخ النمازي لم يستقر على اسم واحد، مع أنه نسب إليه رواية الخطبة المذكورة في ثلاثة من أربعة أسماء.

وفيما يلي تفصيل للموارد المتباينة التي ذكرها النمازي لهذا الراوي:

---

(١) مستدركات علم الرجال ٢: ٣٢٠.

(٢) المصدر السابق ٢: ٣٧.

١. ذكره في مستدرك سفينة البحار[١]، مستدركات علم الرجال[٢]، باسم خزيمة الأسدي، ونسب له رواية الخطبة.

٢. ذكره في موضع آخر من مستدركات علم الرجال[٣] باسم بشير بن جزيم ونسب إليه رواية الخطبة ذاتها أيضاً.

٣. ذكره في المصدر السابق، في الصحيفة نفسها، باسم بشير بن جذلم، وجعله شخصاً آخر غير راوي الخطبة السابق، وهو المرافق للإمام السجاد عليه السلام إلى المدينة بحسب النقل، ولم ينسب إليه الخطبة.

٤. ذكره في مستدركات علم الرجال[٤]، باسم حذيم بن شريك الأسدي، ونسب إليه رواية الخطبة ذاتها أيضاً.

وخلاصة ما ذكره أن راوي الخطبة نفسها له ثلاثة أسماء: خزيمة الأسدي، بشير بن جزيم، حذيم بن شريك الأسدي. أما بشير بن جذلم فشخص آخر غير هذا الراوي، فهو مرافق الإمام السجاد عليه السلام إلى المدينة بحسب الزعم.

---

(١) مستدرك سفينة البحار ٤: ٣١٣.
(٢) مستدركات علم الرجال ٣: ٣٢٧. رقم الترجمة: ٥٣٠٢.
(٣) المصدر السابق ٢: ٣٧. رقم الترجمة: ٢١٥٤.
(٤) مستدركات علم الرجال ٢: ٣٢٠. رقم الترجمة: ٣٢٢٢.

وذكره لهذه الأسماء في مواضع مختلفة، يعني أنهم عنده أربعة أشخاص لا شخص واحد، ثلاثة منهم نَسب إليهم الخطبة نفسها فُرادى، والرابع لم ينسب إليه الخطبة، إنما عدّه مرافقاً للإمام عليه السلام إلى المدينة.

وهذا الاضطراب والفوضى والخلط والتشويش في تحديد اسم الراوي، سوف نجده في جميع الأسماء التي ذكروها للراوي المزعوم.

وممن ذكره باسم خزيمة الأسدي، الشيخ جعفر النقدي، الذي نسب الرواية للجاحظ في البيان والتبيين، دون ذكر الصحيفة التي أخذ عنها ذلك، أو المخطوطة التي رجع إليها.

قال رحمه الله: «وهذه الخطبة رواها كل من كتب في وقعة الطف[1] أو في أحوال الحسين عليه السلام

(١) هذا الكلام غير دقيق، ولا يمكن التفوّه به من محقق، فلم يروها من قدامى المؤرخين سوى ابن أعثم الكوفي في الفتوح كما ذكرنا، ومن أخذ عنه لاحقاً. ولم ينسبها لمصدر تاريخي أو مقتل أو أي مصدر آخر. أما الطبري وهو العمدة في نقل أخبار واقعة الطف فلم يذكر أن العقيلة زينب عليها السلام خطبت في الكوفة مطلقاً، ولا الدينوري في الأخبار الطوال، ولا ابن سعد في الطبقات، ولا الشيخ المفيد في الإرشاد، ولا الذهبي أو ابن كثير أو ابن الجوزي أو الخطيب البغدادي أو اليعقوبي أو المسعودي أو السيوطي أو الدياربكري، أو غيرهم في تواريخهم. أما في الوسط الشيعي فقد ذُكر لها سند عند المفيد فقط، وعنه أخذ الشيخ الطوسي وبعض من جاؤوا بعده. وهذا السند ينتهي للراوي نفسه، الذي روى عنه ابن أعثم، وهو خزيمة الأسدي، لكنهم لم

ورواها الجاحظ في كتابه البيان والتبيين عن خزيمة الأسدي، قال: ورأيت نساء الكوفة يومئذٍ قياماً يندبن متهتكات الجيوب»[1].

وقال قبل ذلك: «فقد تواترت الروايات عن العلماء وأرباب الحديث بأسانيدهم عن حذلم بن كثير! قال: قدمت الكوفة في المحرم... »[2].

فالشيخ النقدي ينسبها تارة لخزيمة الأسدي، وأخرى لحذلم بن كثير، مع أنه راوٍ واحد لا اثنان. وكذلك الشيخ النمازي لم يثبت على اسم واحد كما تقدم، وهكذا في سائر من نقلوها عن الراوي المزعوم.

ومن العجب أيضاً قول الشيخ جعفر النقدي بالتواتر عن رجل مجهول (حذلم بن كثير) لا يُعرف

يتفقوا فيما بعد على صيغة واحدة لاسمه كما سيأتي.

فقول الشيخ النقدي: «رواها كل من كتب في وقعة الطف» غير دقيق ولا صحيح، بل لم يروها أحد ممن كتب في واقعة الطف من المؤرخين سوى ابن أعثم. وأما كتب الأدب فلم ترد في النسخ المتداولة اليوم للبيان والتبيين، ووردت في بلاغات النساء منسوبة للراوي نفسه ولكن عن أم كلثوم. فالصحيح أن يقال: لم يروها أيّ من المؤرخين وأصحاب المقاتل ومن كَتَبَ في واقعة الطف، سوى ابن أعثم في الفتوح مرسلة عن خزيمة الأسدي، وسوف نعرف أن الراوي هذا لم يكن حياً في واقعة الطف.

(١) زينب الكبرى: ٥٠.

(٢) زينب الكبرى: ٤٧.

من هو، ولم يرد له في كتب العامة التي روت الرواية أي سند يُذكر ولا ترجمة. وها أنت قد رأيت أن أقدم مصدر تاريخي ذكرها هو ابن أعثم الكوفي، رواها مرسلة عن خزيمة الأسدي من أصحاب معاوية كما سيأتي.

فأي تواتر يزعمه الشيخ النقدي لرواية واحدة عن راوٍ غير معلوم الوجود فضلاً عن الحال؟ مع أن الذي يعنينا هو التواتر عن زينب عليها السلام لا عن الراوي المجهول، فتأمّلْ!!. ثم من هم العلماء وأرباب الحديث الذين تواتر عنهم ذلك؟ وأين هي أسانيدهم؟

فالتواتر يعني وجود جماعة من الرواة، في كل طبقة تروي الخبر، ثم ترويه عنها مجموعة أخرى في الطبقة التالية، وهكذا، مع اشتراط امتناع تواطئهم على الكذب. فأين هذا من ذاك؟

ولعل الشيخ النقدي انبهر بكثرة تردد الخبر على ألسن الخطباء وأصحاب العزاء في عصره، أو وروده في مصادر شيعية كأمالي المفيد والطوسي واللهوف لابن طاوس والاحتجاج للطبرسي، ثم كتب المقاتل المتأخرة. فجعل ذلك من (التواتر)

لكنّ هذا أعجب من سابقه. لأن الخبر المرسل، بل حتى المسند الصحيح، مهما تعددت المصادر الناقلة له، فلا يُخرجه ذلك عن حدّ الإرسال أو كونه من خبر الآحاد. وبين المرسل والمتواتر بُعد المشرقين كما هو معلوم.

فإن قيل: إن هذا الخبر له سند آخر في كتب الشيعة، ذكره الشيخ المفيد ثم أخذ عنه الطوسي. قلنا: سوف تعرف ما في ذلك السند من علل، من جهة. ومن جهة أخرى أنه ينتهي إلى الراوي نفسه، مع اختلاف كبير أيضاً في تحديد اسمه. فلا يبقى أمامنا سوى رواية واحدة عن راو مجهول، سوف نعرف شخصه وحاله إن وجد.

مقتل خزيمة الأسدي في صفين:

الذي يعنينا هنا، البحث عن هوية (خزيمة الأسدي)، الذي ورد في المصدر الأول، وهو فتوح ابن أعثم، أو البيان والتبيين، بلا فرق. فمن هو خزيمة الأسدي؟

قال ابن عساكر: «خزيمة الأسدي: من أصحاب معاوية، شاعر له أبيات أجاب بها أبا الطفيل عامر

بن واثلة الليثي»[1].

وذكر نصر بن مزاحم: «أن أول فارسين التقيا في هذا اليوم وهو اليوم السابع من صفر، وكان من الأيام العظيمة في صفين، ذا أهوال شديدة حُجر الخير، وحُجر الشر. أما حُجر الخير فهو حُجر بن عَديّ، صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وحُجر الشر ابن عمه. وذلك أن حُجر الشر دعا حُجر بن عَديّ إلى المبارزة، وكلاهما من كندة، فأجابه، فاطّعنا برمحيهما، ثم حجز بينهما امرؤ من بني أسد، وكان مع معاوية، فضرب حُجراً ضربة برمحه، وحمل أصحاب علي فقتلوا الأسدي، وأفلتهم حجر بن يزيد حجر الشر هارباً. وكان اسم الأسدي خزيمة بن ثابت»[2].

ونقلها المجلسي عن نصر بن مزاحم أيضاً، لكنه لم يذكر أنه ابن ثابت[3]. وهو الصحيح، لأن خزيمة بن ثابت الأنصاري كان من أصحاب علي عليه السلام وهو المعروف بذي الشهادتين.

---

(١) تاريخ دمشق ١٦: ٣٧٦.

(٢) وقعة صفين: ٢٤٣. وقوله: ابن ثابت، وهمٌ، لأن خزيمة بن ثابت كان في جيش علي عليه السلام لا في جيش معاوية.

(٣) بحار الأنوار ٣٢: ٤٦٧.

وقال ابن أبي الحديد: «وخرج رجل من بني أسد، يقال له خزيمة، من عسكر معاوية، فضرب حجر بن عدي ضربة برمحه، فحمل أصحاب علي عليه السلام فقتلوا خزيمة الأسدي»[1].

فالراوي الذي ذكره ابن أعثم، ونسبوه للجاحظ في البيان والتبيين أيضاً، كان من أصحاب معاوية، وقد قُتل في صفين، قبل وقعة الطف بأكثر من اثنتين وعشرين سنة!. ولم نجد غيره محتملاً أن يكون هو الراوي.

وبناء على ذلك، تسقط هذه الرواية عن الاعتبار، لاستحالة الرواية بواسطة خزيمة الأسدي المقتول قبل واقعة الطف بحوالي عقدين من الزمن.

وهذا هو السر الذي يفسر لنا اختلاف الناقلين الذين جاؤوا بعد ابن أعثم الكوفي في اسم الراوي، ذلك أنهم واجهوا استحالة أن يروي الميت بعد وفاته بسنوات عن الحي. لذلك حاولوا تغيير الاسم بنحو من التصحيف، ليوحي أنه راوٍ آخر غير هذا المقتول في صفين، لكنهم لم يفلحوا في العثور على

(١) شرح النهج ٥: ١٩٥.

اسم معروف مشابه متفق عليه، بل زادوا الأمر تعقيداً بكثرة الأسماء.

بقي أن نذكر، أن رواية ابن عساكر أفادت أن خزيمة الأسدي هذا، كان حياً بعد سنة ٤٠ للهجرة، وأنه كان حاضراً في مجلس معاوية، وأنشد شعراً. إلا أن الأخبار التاريخية لم تذكره بعد ذلك التاريخ، ولم نعثر له على أثر أو عين.

والنتيجة: أنه إما أن يكون قد قُتل في صفين كما تقدم، أو مات في أيام معاوية. وعلى كلا الاحتمالين لم يكن حياً في أيام واقعة الطف.

٢. بشير بن جزيم الأسدي:

وهو أحد الأسماء التي ذكرها الشيخ النمازي للراوي المفترض لخطبة السيدة زينب عليها السلام في الكوفة، كما تقدم[١].

لكننا لم نجد له في كتب الرجال أو السير والتراجم عيناً ولا أثراً، لا في مصادر الشيعة ولا العامة. أي أن الشيخ النمازي اعتمد على الكتب التي اختلفت في تسميته، نقلاً عن ابن أعثم، أو ابن طيفور، وربما الجاحظ طبقاً لما نسبوه إليه.

---

(١) مستدركات علم الرجال ٢: ٣٧.

٣. حَذْلَمُ بنُ سَتِير:

ورد في أمالي الشيخ المفيد[١]، بثلاثة أسماء كما أفاد محقق الكتاب: أحدها حذلم بن ستير. ولكن المتن هو عين ما رواه ابن أعثم الكوفي في الفتوح عن خزيمة الأسدي.

قال الشيخ المفيد في أماليه: «أخبرني أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، قال: حدثني أحمد بن محمد الجوهري، قال: حدثنا محمد بن مهران، قال: حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي، عن عمر بن عبد الواحد، عن إسماعيل بن راشد، عن حذلم بن ستير.... قال: ورأيت زينب بنت علي[٢]، ولم أر خفرة قط أنطق منها، كأنها تفرغ عن لسان أبيها... إلخ»[٣].

قال محقق الكتاب في الهامش: «كذا، وفي بعض نسخ الحديث: حذلم بن بشير، وفي الاحتجاج:

---

(١) أمالي المفيد: ٣٢١.

(٢) ذكر محقق الكتاب (طبعة جماعة المدرسين سنة ١٤٠٣ هـ) أن زينب المذكورة هنا هي أم كلثوم. قال بالنص: «هي زينب الصغرى المكناة أم كلثوم». انظر ص ٣٢١. لكنها حُذفت من الطبعة التالية سنة ١٤١٣ هـ وهي طبعة مؤتمر الشيخ المفيد.

(٣) أمالي المفيد: ٣٢١. المجلس الثامن والثلاثون.

حَذْيَم بن شريك الأسدي... وفي البحار في قصة نزول أهل البيت عليهم السلام قرب المدينة «بشير بن حذلم» وفي بلاغات النساء لابن طيفور مرة «حذام الأسدي» وأخرى «حذيم»، وفي اللهوف «بشير بن خزيم الأسدي». وقال في هامش البحار: والصحيح: حذيم بن بشير»[1].

ولم يذكر محقق الكتاب اسماً محدداً معلوماً للراوي، ولا ترجمة منقولة عن كتب التراجم، كعادته في تحقيق الكتاب المذكور.

وفي أمالي الشيخ الطوسي عن المفيد بالسند نفسه عن حذلم بن ستير أيضاً.

قال الطوسي: «أخبرنا أبو عبد الله محمد بن محمد[2]، قال: أخبرني أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، قال: حدثني أحمد بن محمد الجوهري، قال: حدثنا محمد بن مهران، قال: حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي، عن عمر بن عبد الواحد، عن إسماعيل بن راشد، عن حذلم بن ستير، قال:

---

(١) المصدر السابق. تحقيق: حسين أستاد ولي، وعلي أكبر غفاري. منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، المطبعة الإسلامية: ١٤٠٣.

(٢) وهو الشيخ المفيد.

قدمت الكوفة في المحرم من سنة إحدى وستين، منصرف علي بن الحسين عليهما السلام... »[1].

ثم ساق خبر الخطبة التي رواها ابن أعثم مع اختلافات وزيادات، كما هو الحال في أمالي المفيد وغيره.

قال محقق الكتاب في الهامش عند ذكر حذلم بن ستير: «في نسخةٍ: كثير»[2]. أي أن هنالك اختلافاً بين النسخ التي نقلت عن الطوسي في أماليه.

وعن سند المفيد بهذا الاسم، أخذ صاحب البحار، قال: «المفيد، عن محمد بن عمران، عن أحمد بن محمد الجوهري، عن محمد بن مهران، عن موسى بن عبد الرحمن، عن عمر بن عبد الواحد، عن إسماعيل بن راشد، عن حذلم بن ستير»[3].

لكن محقق كتاب البحار، ذكر اسماً آخر للراوي رجّح أن يكون هو الصحيح. قال: «قد يقال: حذلم بن ستير، أو حذام بن ستير، والصحيح: حذيم بن بشير كما مر»[4].

---

(١) أمالي الطوسي: ٩١.
(٢) المصدر السابق.
(٣) بحار الأنوار ٤٥: ١٦٤.
(٤) المصدر السابق.

وترجيحه هذا الاسم دون غيره، دعوى بلا دليل لا قيمة لها، فضلاً عن كون (حذيم بن بشير) هذا لا وجود له أيضاً في كتب التراجم والتاريخ وغيرها. كما أن نسخ الأمالي للمفيد والطوسي غير متفقة على اسم واحد له كما رأيت، وقد ذكرت له أسماء متعددة بتعدد النسخ.

٤ و ٥ . حذام الأسدي، حِذْيَم الأسدي:

جاء في بلاغات النساء لابن طيفور: «كلام أم كلثوم عليها السلام: عن سعيد بن محمد الحميري أبو معاذ، عن عبد الله بن عبد الرحمن رجل من أهل الشام! عن شعبة، عن حذام الأسدي، وقال مرة أخرى: حذيم، قال: قدمت الكوفة سنة إحدى وستين وهي السنة التي قتل فيها الحسين عليه السلام فرأيت نساء أهل الكوفة يومئذ يلتدمن مهتكات الجيوب...»[1].

ثم كرر السند السابق بعد تمام الخطبة، لكنه روى بواسطتين عن سعيد بن محمد أبي معاذ الحميري، كما حذف منه (شعبة) فأسند مباشرةً عن عبد الله بن عبد الرحمن، رجل من أهل الشام، عن (حذام الأسدي).

---

(١) بلاغات النساء: ٢٨.

إلا أن هذين الاسمين: حذام الأسدي، وحِذْيَم الأسدي، لم نجد لهما في كتب التراجم والسير عيناً ولا أثراً أيضاً.

٦. حذيم بن شريك الأسدي:

عدّ الشيخ[١] (حذيم بن شريك الأسدي) من أصحاب السّجاد عليه السلام، إلا أنه لم يذكر له رواية في كتبه، حتى في أماليه عند نقله الخطبة المذكورة المنسوبة للسيدة زينب عليها السلام. كما لم ترد عندنا عنه رواية عن الإمام السجاد عليه السلام في سائر مصادرنا.

فقد نقل الشيخ الخطبة المذكورة في أماليه، عن حَذلم بن ستير، كما تقدم، وجاء بهامشه: وفي نسخة: كثير. وليس عن (حذيم بن شريك الأسدي) هذا.

وفي الاحتجاج: «عن حذيم بن شريك الأسدي. قال: لما أتى علي بن الحسين زين العابدين بالنسوة من كربلاء، وكان مريضاً، وإذا نساء أهل الكوفة ينتدبن مشققات الجيوب، والرجال معهن يبكون»[٢].

وفيه أيضاً: «قال حذيم الأسدي: لم أرَ والله

---

(١) رجال الطوسي: ١١٣.
(٢) الاحتجاج ٢: ٢٩.

خفرة قط أنطق منها، كأنها تنطق وتفرغ على لسان علي عليه السلام... »[1].

ولم نجد لحذيم الأسدي، أو حذيم بن شريك الأسدي، ذكراً في كتب الرجال والتراجم، لا عند الخاصة ولا العامة.

والشيخ الطوسي، الذي جعل (حذيم بن شريك الأسدي) من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام، لم يرو عنه الخطبة في أماليه كما ذكرنا، إنما ورد في الأمالي (حذلم بن ستير) أو (حذلم بن كثير).

فيكون الشيخ قد ذكر له ثلاثة أسماء: حذيم بن شريك الأسدي، وحذلم بن ستير، وحذلم بن كثير. ولم يرد لهذه الأسماء ذكر في سائر كتب الرجال المتقدمة، ولا كتب التاريخ والسير أو الأدب. كما ذكر له اسماً رابعاً في كتاب الغيبة هو (حذلم بن بشير) لكن لم ينسب إليه الخطبة المذكورة، فيكون المجموع عند الطوسي أربعة أسماء.

و(حذلم بن بشير) هذا من رواة العامة، وقد ذكروا أنه يروي عن الإمام السجاد عليه السلام، وهو الوحيد من

(١) الاحتجاج ٢: ٢٩.

بين هذه الأسماء له ذكر في كتب التراجم، فقد ذكره ابن ماكولا والدارقطني، ولكن أحداً لم ينسب إليه أنه روى هذه الخطبة، سوى ما ورد في هامش أمالي المفيد منسوباً إلى بعض نسخ أمالي المفيد.

٧. بشير بن خزيم الأسدي:

ورد هذا الاسم في اللهوف للسيد ابن طاوس: «قال بشير بن خزيم الأسدي: ونظرت إلى زينب بنت علي يومئذ، ولم أر خفرة والله أنطق منها»[١]. ولكن التستري نقله عن اللهوف باسم آخر هو الآتي.

ولم نجد لبشير بن خزيم الأسدي هذا ترجمة في كتب الرجال والسير، لا عند العامة ولا الخاصة.

٨. بشير بن خزلم الأسدي:

ذكره التستري نقلاً عن اللهوف للسيد ابن طاوس، بلفظ «خزلم» قال: «وفي اللهوف: وقال بشير بن خزلم الأسدي: نظرت إلى زينب بنت علي...»[٢]. فيما نجد أن الوارد في اللهوف المطبوعة (بشير بن خزيم الأسدي) وليس (خزلم) كما نقله التستري عن اللهوف نفسه.

---

(١) اللهوف: ٨٦.

(٢) قاموس الرجال ١٢: ٢٦٩.

ولم نجد لهذا الاسم أيضاً ترجمة ولا ذكراً في كتب الرجال والتراجم وغيرها.

٩. خديم الأسدي:

قال ابن نما الحلي (ت ٦٤٥ هـ): «وروى إسحاق السبيعي[١] عن خديم الأسدي قال: رأيت زين العابدين عليه السلام وهم يبكون! فقال: تبكون علينا ومن قتلنا غيركم؟ ورأيت زينب بنت علي عليها السلام فلم أر خفرة أنطق منها كأنما تفرغ عن لسان أبيها...»[٢].

ولم يرد لهذا الاسم، ذكر ولا ترجمة في أي مصدر رجالي أو تاريخي أو غيره، سوى مثير الأحزان.

١٠. حذلم بن بشير:

ورد في هامش رواية الشيخ المفيد في الأمالي، منسوباً إلى بعض النسخ، على أنه راوي الخطبة كما تقدم.

وورد في غيبة الطوسي في رواية وصف المهدي، لا في رواية الخطبة المذكورة.

قال الطوسي: «وروى حذلم بن بشير، قال: قلت لعلي بن الحسين عليهما السلام: صف لي خروج المهدي

---

(١) تقدم ذكره، وهو أبو إسحاق.

(٢) مثير الأحزان: ٦٦.

وعرفني دلائله وعلاماته... »[1]. ولم نجد له أي رواية أخرى غير رواية المهدي هذه.

قال ابن ماكولا، وهو من أعلام العامة: «هو حذلم بن بشير، أبو الديلم، يروي عن علي بن الحسين، روى عنه السدي»[2].

وفي المختلف والمؤتلف للدارقطني: «وأما حذلم، فهو أبو الديلم، حذلم بن بشير، روى عن علي بن الحسين، روى عنه السدي»[3].

فهو من رجال العامة، وله رواية واحدة عن الإمام السجاد عليه السلام في صفة خروج المهدي، ولم يرد في مصادر العامة ولا الخاصة أنه روى خطبة السيدة زينب عليها السلام باستثناء ما نسبه محقق كتاب أمالي المفيد إلى بعض نسخ الأمالي. أي أنه أجنبي عن محل البحث. ولا عبرة بما ذكره محقق أمالي المفيد في الهامش، فما أكثر الخلط في الأسماء والتصحيف.

أما في مصادر الشيعة الرجالية والروائية فلم نجد له عيناً ولا أثراً، حتى في المستدركات للنمازي،

---

(١) الغيبة: ٤٤٤.

(٢) إكمال الكمال ٢: ٤٠٥.

(٣) المؤتلف والمختلف ٢: ٩٠٠.

باستثناء رواية كتاب الغيبة في صفة خروج المهدي هـ.

١١. حذام بن ستير:

جاء في هامش البحار: «وقد يقال: حذلم بن ستير، أو حذام بن ستير، والصحيح: حِذْيم بن بشير كما مر»[١].

ولم نجد له ترجمة أيضاً في أي من الكتب الرجالية والتراجم عند الفريقين.

١٢. حذلم بن كثير:

ورد في إحدى نسخ أمالي الطوسي كما ذُكر في هامش العوالم[٢]. ولم أجد له كذلك أي ترجمة لا في كتب الشيعة ولا غيرهم.

١٣. جزام بن ستير:

جاء في هامش العوالم نقلاً عن مجالس المفيد والطوسي ما نصه: «في الأصل جزام بن ستير»[٣]. ولم يرد إلا في هامش العوالم، نسبةً للأصل، وقد صححه إلى (حذلم بن ستير).

ولم نجد له ترجمة ولا ذكراً أيضاً.

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٦٤.

(٢) عوالم العلوم والمعارف ١٧: ٣٧١.

(٣) عوالم المعالم، الإمام الحسين: ٣٧١.

١٤. بِشْرُ بنُ حَذْلَم:

الذي اشتهر عنه في المجالس المنبرية أن الإمام السجاد عليه السلام أمره أن يدخل المدينة فينعى الحسين عليه السلام. ولم أجد له في المصادر أثراً ولا عيناً، إلا ما اشتهر أخيراً على لسان أهل العزاء.

واحتمل الشيخ الكوراني رحمه الله أنه بشير بن خزيم، الذي ورد في اللهوف»[١]. وقد تقدم نقل التستري عن اللهوف أنه بشير بن خزلم، وليس خزيم.

١٥. بشر بن حريم:

الذي ذكره محقق كتاب الفتوح لابن أعثم، بقوله: «عن الدر المنثور في طبقات ربات الخدود، وبالأصل: بشر بن حريم» كما تقدم. ولم نجد له ذكراً في أي مصدر، سوى ما نسبه محقق الكتاب للأصل، وقد عرفت ما فيه من الوهن.

١٦. جرير بن سيير:

ذكره ابن الفقيه الهمداني (ت ٣٦٥ هـ) في البلدان، قال: «قال جرير بن سيير: قدمت الكوفة[٢] وقد

---

(١) قبيلة بنو أسد بن خزيمة ٥: ٥٦.

(٢) تكررت هذه العبارة كثيراً، مما يؤكد أنه ليس من أهل الكوفة. ولعل السر في ذلك إخفاء هويته لأنه بلا هوية من الأصل، فلو ادعي إنه من أهل الكوفة، لكان معروفاً بين رواتهم أو مؤرخيهم أو أدبائهم

انصرف علي بن الحسين من كربلاء، فرأيت نساء أهل الكوفة يلتدمن مهتكات الجيوب. فسمعت علي بن الحسين يقول بصوت صبي! وقد نهكته العلة: ألا إنّ هؤلاء قتلونا... »[1]. ثم ذكر الخطبة المنسوبة للسيدة زينب عليها السلام.

وجاء في هامش الكتاب: «خبر هذه الخطبة في مقتل الحسين للخوارزمي٢: ٤٠، عن بشير بن حذيم الأسدي. وفي فتوح ابن أعثم، المجلد الثالث: ١٣٩، عن خزيمة الأسدي»[2].

ولم نجد لجرير بن سيير أي ترجمة، ولا ذكراً في كتب التراجم والتاريخ وغيرها.

١٧. بشير بن حذيم الأسدي:

جاء في مقتل الخوارزمي (ت ٥٦٨ هـ): «وقال بشير بن حذيم الأسدي: نظرت إلى زينب بنت علي يومئذٍ ولم أرَ خفرةً قط أنطق منها، كأنما تنطق عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

أو شخصياتهم المعروفة.

(١) البلدان: ٢٢٤.

(٢) هذا يتناقض مع دعوى محقق كتاب الفتوح أنه في الأصل: بشر بن حريم. أو أنهم هنا نقلوا عن نسخة أخرى لم تقع بيد المحقق.

وتفرغ عنه... »[1].

ويبدو أن الخوارزمي قد أخذ الخطبة من ابن طيفور في بلاغات النساء، ونسبها للسيدة زينب عليها السلام كما فعل غيره، مع بعض التغييرات المشابهة لما جاء في فتوح ابن أعثم.

وعلى كل حال، لم نجد ذكراً لـ (بشير بن حذيم الأسدي) في أي من كتب التراجم والسير والتواريخ، شأنه شأن غيره من الأسماء الكثيرة التي أريد لها أن تكون بديلة عن (خزيمة الأسدي) الذي كان في قبره قبل واقعة كربلاء.

١٨. بشير بن جذلم:

وهذا الاسم لم يرد في رواية هذه الخطبة بحسب البحث إنما ورد في واقعة أخرى، هي ذهابه مع الإمام السجاد عليه السلام من كربلاء إلى المدينة. وقد تقدم باسم بشر بن حذلم، واحتمل الشيخ الكوراني& أنه بشير بن خزيم.

قال الشيخ النمازي: «بشير بن جذلم: لم يذكروه.

---

(١) مقتل الحسين٢: ٤٠. وقد استثنينا كتب المقاتل المتأخرة من عدم ذكر المؤرخين للخطبة، لأنها أخذت عن كتب التاريخ أو الأدب، باستثناء المقاتل القديمة التي لم تصل إلينا، أو التي نقل عنها المؤرخون، لكنها لم تذكر الخطبة، كما في مقتل أبي مخنف.

وهو رسول مولانا السجاد صلوات الله عليه إلى أهل المدينة ينعى أبا عبد الله الحسين صلوات الله عليه، وكان مع السجاد عليه السلام في سفره إلى المدينة، وكان شاعراً راثياً، فأنشأ في المدينة: يا أهل يثرب لا مقام لكم بها... »[1].

وقال السيد الأمين: « بشير بن جذلم: من أصحاب علي بن الحسين عليه السلام ذكره السيد علي بن طاوس في كتاب اللهوف على قتلى الطفوف. وظاهره أنه كان مع علي بن الحسين وأهل بيته حين توجهوا من العراق إلى المدينة، ولا يعلم سبب وجوده معهم»[2].

وهو كالأسماء السابقة التي لم نعثر على ترجمة أو ذكر لها في غير هذه المصادر المتأخرة التي أخذت عن ابن أعثم أو ابن طيفور، والتي لم تتفق على اسم بعينه.

١٩. بشر بن خديم:

ورد في هامش اللهوف المطبوع بالفارسية[3].

---

(١) مستدركات علم الرجال ٢: ٣٧.

(٢) أعيان الشيعة ٣: ٥٨٢.

(٣) اللهوف، ترجمة حسن مير أبو طالبي: ١٩٨. نشر: دليل ما، قم، الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ.

وهو كالأسماء السابقة المجهولة التي لم نعثر لها على ترجمة أو ذكر في المصادر الرجالية أو التاريخية أو كتب السير والتراجم.

٢٠. حذيم بن بشير:

ورد في البحار نقلاً عن الاحتجاج[١] وفي بعض هوامش البحار[٢]. كما ورد في بعض هوامش العوالم، نقلاً عن الاحتجاج أيضاً[٣]. وفي هامش أمالي المفيد[٤]، نقلاً عن هامش البحار المذكور.

وهو كغيره لا وجود له في كتب التراجم والسير والرجال.

هذه عشرون اسماً مما عثرنا عليه لراوٍ واحد، تختلف بشكل فاحش، بحيث لا يمكن فيها جميعاً احتمال التصحيف أو الخلط، مع أن هذا الراوي نُسبت إليه حادثة تاريخية مهمة لم ترد في التواريخ الأخرى المعروفة، هي وقوف السبايا في الكوفة،

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١١٣. قال: «أقول: روي في الاحتجاج هكذا: قال حِذْيَمُ بن بشير...».

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ١٦٤. قال: «وقد يقال: حذلم بن ستير، أو حذام بن ستير. والصحيح: حذيم بن بشير».

(٣) عوالم العلوم والمعارف ١٧: ٣٨٢.

(٤) أمالي المفيد: ٣٢١.

وإلقاء مجموعة من الخطب، ومنها خطبة مهمة من أبرز الخطب وأشهرها في مجالس عامة الناس وخاصتهم، هي خطبة السيدة زينب عليها السلام.

خلاصة التحقيق في الراوي المفترض:

بعد هذا الاستقراء، لا بد أن نسأل: من هو الراوي الذي سمع العقيلة زينب عليها السلام ورآها في الكوفة، وهي تخطب بين آلاف الكوفيين رجالاً ونساءً؟ ولماذا كان صاحب الحظ الوحيد الفريد في مشاهدة أعظم حدث تاريخي بعد مقتل الحسين عليه السلام وهو إقامة (مهرجان خطابي) في الكوفة كما سيأتي؟ ولماذا لم ينقل بعض هؤلاء الآلاف تلك الحادثة العظمى مع توفر الكثير من دواعي النقل وعدم وجود المانع؟ بل لماذا لم ترد عن أحد ممن كان بصحبة الإمام السجاد عليه السلام من بني الحسن عليه السلام أو من غيرهم؟ ولماذا لم يذكرها أحدٌ من أئمة أهل البيت عليهم السلام كما ذكروا مقتل الحسين عليه السلام؟

الجواب بإيجاز: ليس هناك أي سبيل لتحديد (اسم الراوي)، ولا هويته، ولا حاله، فهو مجهول الوجود، وليس الحال فقط، إذ ليس هنالك شخص معروف بعينه نُسبت إليه هذه الخطبة سوى شخص

واحد، هو خزيمة الأسدي، وهو من أصحاب معاوية في صفين، ولم يكن على قيد الحياة في تلك السنة، فإما أن يكون قد قتل فيها كما ذكرت بعض التواريخ، وهو الأرجح، أو مات بعدها بقليل، وعلى الاحتمالين يستحيل أن يكون رواياً للخطبة المزعومة والحادثة كلها وهي (المهرجان الخطابي). وهو الذي وجدناه في المصدر التاريخي الأول والوحيد الذي ذكر الخطبة، كما نسبوا الرواية عنه للجاحظ.

أما حذلم بن بشير، وهو الشخصية الوحيدة المعروفة من بين الأسماء السابقة، فهو من رواة العامة، وقد ذكر ابن ماكولا والدارقطني، أنه يروي عن الإمام السجاد عليه السلام لكن أحداً لم ينسب إليه الخطبة المذكورة، حتى الشيخ الطوسي الذي نقل عنه رواية في صفة خروج المهدي في كتاب الغيبة. فلم ينسب إليه الخطبة في أماليه كما تقدم.

أما ما ورد في هامش أمالي المفيد، منسوباً لبعض نسخه، فهو من الخلط بين الأسماء كما هو واضح.

فبحسب المعطيات المتقدمة، نجد أنّ الراوي الأول والوحيد الذي نسبوا إليه الرواية مرسلة بلا

سند، في بعض مصادر العامة وهو فتوح ابن أعثم هو خزيمة الأسدي ليس غيره، لكن واضع الرواية لم يكن من المحدّثين العارفين بأحوال الرواة، فربما كان من الورّاقين، كابن طيفور، أو الأدباء، كالجاحظ، أو المؤرخين غير العارفين بأحوال الرجال كابن أعثم، أو راوٍ آخر من الكذابين الذين ملأوا صفحات التاريخ بالموضوعات. فنسبها إلى خزيمة الأسدي جهلاً منه بموته قبل واقعة الطف بسنوات، قد تربو على العشرين. ثم تنبّه بعض الناقلين فيما بعد لذلك، فحاولوا تغيير الاسم بطريقة توحي بأنه (تصحيف). ومن الطبيعي أن كل واحد منهم يركنُ إلى اسمٍ ما، دون علم بما عند غيره، فتعددت الأسماء بهذا الشكل الفاحش.

ويؤكد ذلك، أن هذه الحادثة المزعومة، وما فيها من الخطبة المنسوبة للراوي المذكور، التي ظهرت في أواخر العصر العباسي الأول، تعرضت للتورّم الشديد عبر التاريخ، فكلّما مرت السنون وتعاقبت القرون، أضيف إليها خُطب جديدة، واختلف النقل من مصدر إلى آخر. فبينا كانت في المصدر الأول وهو في القرن الثالث أو الرابع، خطبة واحدة

نُسبت للسيدة زينب عليها السلام نجد أنها أصبحت أربعاً أو أكثر، لأم كلثوم، وفاطمة الصغرى، والإمام السجاد، وربما أسماء بنت عقيل، كما سيأتي ذلك تفصيلاً.

أما متن الخطبة المنسوبة للسيدة زينب عليها السلام، فمن السهل اليسير على الجاحظ أو ابن طيفور أو غيرهما من الأدباء في ذلك العصر، أن يضعوا مثل هذا النص الذي لا يحتاج إلا إلى اطلاع سريع على خطب الحجاج أو أبي جعفر المنصور أو غيرهما من الطغاة الذين خاطبوا أهل الكوفة والعراق عموماً بهذا النحو من الخطاب، مع بعض التعديل والتغيير.

فهو نسخة مكررة من خطابهم، منقولة من مصادرهم، مع نسبةٍ إلى السيدة زينب عليها السلام فقط.

❊❊❊

المحور الخامس:
مناقشة سند المفيد للراوي نفسه

بعد أن عرفت أن الرواية في أقدم المصادر وهو الفتوح لابن أعثم مرسلة، وأن الراوي مجهول وجوداً وحالاً، بل لا يوجد اتفاق حتى على اسمٍ محددٍ له، فضلاً عن التصريح بمقتل خزيمة الأسدي الراوي المفترض في المصدر التاريخي الأول وغيره قبل الحادثة بسنوات طويلة، وهذا يكفي في إسقاطها، بالمطلق، لإرسال الخبر، وعدم وجود الراوي حياً في أثناء الحادثة المفترضة. نحاول مناقشة ما ذُكر لها من سندٍ عند الشيخ المفيد، للراوي نفسه، ثم أخذه عنه الشيخ الطوسي.

كما يجدر بنا أن نعيد التذكير، أن أحداً من المؤرخين وأصحاب المقاتل المتقدمين، لم يرد عنه بالمطلق وقوف السبايا في الكوفة للخطاب بين الناس.

بحيث إننا لو حذفنا هذا الخبر اليتيم، لما وجدنا خبراً آخر يذكر التوقف لإلقاء الخطب. وهو الحال المتناسب مع كونهم أسارى، وأن وضع الكوفة لم يكن يسمح بمثل هذه المهرجانات الخطابية المعارضة للسلطة، وأن عبيد الله بن زياد وجيشه اشتهرت عنهم القسوة وعدم الرحمة إلى الحد الذي حملوهم فيها على أحلاس أقتاب الجمال بلا وطاء، وأن الإمام السجاد عليه السلام كان مقيداً بوحشية مفرطة، كما سيأتي.

أضف إلى ذلك، أن حادثةً كبرى مثل هذه لا يمكن تجاهلها من الرواة والمؤرخين وغيرهم، فلا تظهر إلا في أواخر القرن الثالث أو بداية الرابع، ولنقلتها الأجيال كابراً عن كابر.

وهذه المناقشة وإن كانت بلا ثمرة ذات قيمة علمية، بعد الذي عرفت من شأن الراوي الأول المقتول أو المتوفى قبل واقعة الطف بسنوات، وما جرى من محاولات تغيير اسمه مع عدم الاتفاق على اسم محدد، وأن الأسماء التي ذُكرت له على كثرتها لا واقع لها في كتب التراجم والسير والرجال باستثناء شخص واحد لم ينسبوا إليه رواية الخطبة.

وأننا لسنا بحاجة لإثبات النص عن الراوي المزعوم، إنما لإثباته عن السيدة العقيلة عليها السلام، لكنها تُغلق باب الاحتجاج بوجود سند معلوم في كتب الشيعة، فربما يقال: لعله سند معتبر من طريق ثقات الشيعة أو غيرهم، فيقرّب احتمال (وجود) الراوي شخصاً على الأقل، إذ من المستبعد عادةً أن يروي الثقات المفترضون عن راوٍ مختلق لم يسمعوا منه مباشرة عند تسلسل السند إليه. وعندئذٍ تكون لدينا رواية، ولو ضعيفة السند، لجهالة حال الراوي الأول، لكنها تقرب احتمال وقوع الحادثة ولو كان احتمالاً ضعيفاً. وهذا أفضل ما نتوقعه من سند الشيخ المفيد.

فسند الشيخ المفيد كما تقدم[1]: عن أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، عن أحمد بن محمد الجوهري، عن محمد بن مهران، عن موسى بن عبد الرحمن المسروقي، عن عمر بن عبد الواحد، عن إسماعيل بن راشد، عن حذلم بن ستير:

(١) انظر: أمالي الشيخ المفيد: ٣٢٢. المجلس الثامن والثلاثون. وعنه الشيخ الطوسي في الأمالي: ٩١. المجلس الثالث.

١. **أما محمد بن عمران:** فهو أبو عبد الله[١]، محمد بن عمران بن موسى المرزباني، خراساني الأصل، إخباري، ومؤرخ، وأديب معتزلي معروف (ت ٣٨٤هـ) كان معاصراً للسيد المرتضى والشيخ المفيد، ومن كبار شخصيات المعتزلة. وكان السيد المرتضى قد تتلمذ عليه في الأدب والشعر، ونقل عنه أكثر أماليه، كما روى عنه كثيراً في الغرر والدرر. ونقل عنه الشيخ المفيد في الإرشاد والأمالي. كما نقل عنه الطوسي هذه الرواية بواسطة الشيخ المفيد.

٢. **وأما أحمد بن محمد الجوهري:** فهو أبو بكر، أحمد بن محمد بن عبد الله الجوهري، من رواة العامة أيضاً، يروي عنه المرزباني، كما ذكر الخطيب البغدادي[٢]. مجهول الحال عندهم.

٣. **وأما محمد بن مهران:** فهو مشترك بين خمسة على الأقل:

الأول - محمد بن مهران بن محمد: صاحب الإمام الصادق عليه السلام، له رواية في التهذيب، وروايته عن موسى بن عبد الرحمن مستحيلة، لأنه من

---

(١) ويقال عبيد الله أيضاً.

(٢) تاريخ بغداد ٥: ٢٤٧. قال: «روى عنه أبو عبيد الله المرزباني».

أصحاب الإمام الصادق عليه السلام والإمام توفي سنة (١٤٨هـ) فيفترض أن محمد بن مهران توفي قبل هذا التاريخ أو مقارناً له، وإلا لعدّوه من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام أيضاً، فكيف يروي عن موسى بن عبد الرحمن، المتوفى سنة ٢٥٨ هـ أي بعد وفاة الأول بأكثر من مئة سنة؟ والأول متقدم عليه زمناً، وموسى متأخر؟

لذا لم يرد في تاريخ محمد بن مهران ومشايخه أنه روى عن موسى بن عبد الرحمن، ولا روى عنه أحمد بن محمد الجوهري.

أضف إلى ذلك أن محمد بن مهران هذا مجهول الحال عند الرجاليين.

الثاني - محمد بن مهران: روى عنه محمد بن عيسى، له رواية في كتب الشيعة: مجهول، لم يرو عن موسى بن عبد الرحمن، ولم يرو عنه أحمد بن محمد الجوهري.

الثالث - محمد بن مهران: روى عنه أحمد بن محمد بن عيسى، له رواية في كتب الشيعة: مجهول كسابقه.

الرابع - محمد بن مهران الكرخي: روى عنه

الحسين بن سعيد (ت ٢٥٤ هـ)، له رواية في كتب الشيعة: مجهول، كسابقه في الرواية.

الخامس - محمد بن مهران الجمّال الرازي: وهو من شيوخ البخاري ومسلم وغيرهما، توفي سنة ٢٣٩ هـ. وهو ثقة عند العامة. ولم يرو عنه أحمد بن محمد الجوهري، ولا روى عن موسى بن عبد الرحمن[١].

والحاصل: أن (محمد بن مهران) في هذا السند، مجهول من جهة الاشتراك، فلا نستطيع تحديد هويته. ومن جهة أخرى لم يرد أن أحمد بن محمد الجوهري قد روى عن أي من تلك الأسماء المشتركة، ولا رووا عن موسى بن عبد الرحمن، الآتي. كما أن أربعة من الأسماء الخمسة مجهولة الحال، والخامس من رواة العامة من شيوخ البخاري ومسلم، وليست له رواية عندنا.

٤. وأما موسى بن عبد الرحمن المسروقي: فلم يرد له ذكر في مصادر الشيعة إلا في هذه الرواية، ولا يعرف من هو.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ١١: ١٤٣.

قال الشيخ النمازي: «موسى بن عبد الرحمن المسروقي: لم يذكروه. وقع في طريق الشيخ في أماليه ج ١ / ٩٠ عن محمد بن مهران، عنه، عن عمر بن عبد الواحد، حديث ورود أهل البيت أسارى في الكوفة، وخطبة مولاتنا زينب الكبرى عليها السلام. ومثل ذلك في أمالي المفيد»[١].

أما في كتب العامة: فله روايات في سنن الترمذي، وابن ماجة، والنسائي، ومقاتل الطالبيين، وغيرها.

ذكر المزي ترجمته بالتفصيل[٢]، وذكر من يروي عنهم، ولم يرد فيهم (عمر بن عبد الواحد) الآتي.

وذكر ابن حجر أن المسروقي مات سنة ٥٨ للهجرة، أي بعد المئتين، وكونه من الحادية عشرة يؤكد ذلك، كما ذكر في تقريب التهذيب.

قال ابن حجر: «موسى بن عبد الرحمن بن سعيد بن مسروق الكندي المسروقي أبو عيسى الكوفي، ثقة من كبار الحادية عشرة، مات سنة ثمان وخمسين»[٣].

---

(١) مستدركات علم الرجال ٨: ١٧.

(٢) تهذيب الكمال ٢٩: ٩٩.

(٣) تقريب التهذيب ٢: ٢٢٥. تهذيب التهذيب ١٠: ٣١٧.

٥. وأما عمر بن عبد الواحد (ت: ٢٠٠ هـ):

فهو عامّي، شامي، من أهل دمشق، يروي عن الأوزاعي، له روايات في سنن الدارمي، وابن ماجة، وأبي داود، والبيهقي، وغيرها. وليست له رواية في كتب الشيعة، إلا هذه الرواية في أمالي المفيد من طريق المرزباني!.

قال الشيخ النمازي: «لم يذكروه. وقع في طريق المفيد، عن موسى بن عبد الرحمن المسروقي، عنه، عن إسماعيل بن راشد، حديث ورود أسارى آل محمد عليهم السلام في الكوفة، وخطبة زينب الكبرى»[١].

وقال المزي: «عمر بن عبد الواحد بن قيس السلمي، أبو حفص الدمشقي، أخو أبي بكر محمد بن عبد الواحد الأفطس»[٢].

وقال ابن حجر: «عمر بن عبد الواحد بن قيس السلمي الدمشقي، ثقة من التاسعة مات سنة مائتين، وقيل بعدها»[٣].

وقال في التهذيب: «وقال مروان بن محمد

---

(١) مستدركات علم الرجال ٦: ١٠٠.
(٢) تهذيب الكمال ٢١: ٤٤٨.
(٣) تقريب التهذيب ١: ٧٢٣.

الطاطري: نظرنا في كتب أصحاب الأوزاعي فما رأينا أحداً أصح حديثاً عن الأوزاعي من عمر بن عبد الواحد»[1].

٦. وأما إسماعيل بن راشد (السلمي الكوفي):

فهو من رواة العامة أيضاً. وردت له روايات في مجمع الزوائد، ومعجم الطبراني الكبير، ومصنف ابن أبي شيبة، وغيرها. له ترجمة مختصرة في تاريخ البخاري، قال: «إسماعيل بن راشد السلمي: هو إسماعيل بن أبي إسماعيل الكوفي، أخو محمد، سمع سعيد بن جبير، روى عنه حصين، قال أبو نعيم: ولدوا هؤلاء في بطن واحد، إسماعيل وعمر ومحمد وآخر أيضاً»[2].

فهو أيضاً من رواة العامة، وليس له رواية في كتبنا سوى هذه الرواية أيضاً.

هذا هو السند الوارد في أمالي المفيد وعنه الطوسي، ثم انتشر في كتب الشيعة اعتماداً عليهما، وهو كما ترى: ما بين مجهول، أو عامّي شامي، أو معتزلي، أو راوٍ متقدم عن متأخر عنه بأكثر من مئة

---

(١) تهذيب التهذيب ٧: ٤٢١.

(٢) التاريخ الكبير ١: ٣٥٣.

عام، كما أنه سندٌ شاذ لم نجد له مثيلاً في كتب العامة ولا الخاصة.

وبعد ذلك كله، ينتهي إلى (حذلم بن ستير، أو بشير)، على اختلاف في نسخ أمالي المفيد. أو إلى (حذلم بن ستير، أو كثير) على اختلاف في نسخ أمالي الطوسي. أو إلى ما ذكرناه من الصور المتعددة لاسم الراوي المذكور، والاختلافات الفاحشة بين الأعلام في تحديد هوية صاحب الاسم، أو الاتفاق على اسمه على الأقل فضلاً عن حاله من الوثاقة وعدمها.

أضف إلى ذلك أن الشيخ المفيد والشيخ الطوسي، متأخران عن ابن أعثم، وهو أقدم المصادر التاريخية للخطبة المذكورة، وقد أرسلها عن خزيمة الأسدي. واحتمال أخذ المرزباني عن فتوح ابن أعثم وارد جداً.

❊❊❊

المحور السادس:
مناقشة سندية لرواية ابن طيفور عن أم كلثوم

قبل البحث في الأسناد المزعومة التي وجدناها في بلاغات النساء، والتي ذكرنا جانباً من الملاحظات حولها سابقاً، لا بد من الإشارة إلى أمرين مهمين:

الأول أن ابن طيفور (٢٠٤ هـ ٢٨٠ هـ) ذكر نص الخطبة المنسوبة للسيدة زينب العقيلة عليها السلام في فتوح ابن أعثم، لكنه نسبها لأم كلثوم. وهذا الاختلاف بنفسه صريح في عدم صدورها عن زينب عليها السلام. كما أنه ذكر قبلها خطبة للسيدة زينب في الشام، وكرر اسم أم كلثوم في الخطبة نفسها مرتين في المتن، وثالثة في العنوان. أي أنه يفرّق بين الاسمين، ولم يكن غافلاً أو مشتبهاً بينهما. فلا يقال: إنه خلط بين الاسمين، أو اشتبه عليه الأمر.

ومما يؤكد التفريق بينهما أن ابن نما الحلي والسيد ابن طاوس ذكرا خطبتين إضافيتين: إحداهما لزينب العقيلة عليها السلام والأخرى لأم كلثوم، مما يعني أنهما بحسب هذا النقل مختلفتان ذاتاً، وأن زينب غير أم كلثوم. فلا يمكن القول هنا: إن زينب هي أم كلثوم، وليست غيرها، وأن ذلك خطأ من ابن طيفور.

فمن الناحية العلمية لسنا ملزمين ببحث أي سند لابن طيفور، لأننا نحقق في (خطبة السيدة زينب) حصراً، لا في (خطبة أم كلثوم). ولكن باعتبار اتحاد المتن إجمالاً ومنعاً لتشبث بعضهم بدعوى الخلط بين الاسمين، آثرنا أن ننظر فيما وجدناه عند ابن طيفور من سند.

الثاني لا بد من معرفة ابن طيفور نفسه، لأنه المرجع الذي نأخذ عنه هذه الخطبة، وهو الراوي الأهم الذي يرتكز عليه تقييم سائر الرواة الذين ذكرهم.

نبذة عن حال ابن طيفور:

قال الخطيب البغدادي في ترجمته: «أحمد بن أبي طاهر، أبو الفضل الكاتب: واسم أبي طاهر طيفور،

وهو مروزي الأصل، كان أحد البلغاء الشعراء الرواة، ومن أهل الفهم المذكورين بالعلم، وله كتاب بغداد، المصنف في أخبار الخلفاء وأيامهم. وحدث عن عمر بن شبة، وأحمد بن الهيثم السامي، وعبد الله بن أبي سعيد الوراق[1]»[2].

وقال عنه ابن النديم: «هو أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر، واسم أبي طاهر طيفور، من أبناء خراسان، من أولاد الدولة[3]، مولده ببغداد. قال جعفر بن حمدان صاحب كتاب الباهر: إنه كان مؤدب كتّاب عام، ثم تخصص وجلس في سوق الوراقين في الجانب الشرقي. قال: ولم أر ممن شهر بمثل ما شهر به من تصنيف الكتب وقول الشعر، أكثر تصحيفاً منه. ولا أبْلَدَ علماً ولا ألحن. ولقد أنشدني شعراً يعرضه عليّ في إسحاق بن أيوب، لحن في بضع عشرة موضعاً منه. وكان من أسرق الناس لنصف

---

(١) سوف يأتي ذكره في سنده الخطبة المنسوبة لأم كلثوم في بلاغات النساء.

(٢) تاريخ بغداد٤: ٤٣٣.

(٣) أبناء الدولة أو أولاد الدولة: هم الجنود والقادة الذين كانوا في تشكيلات الدولة العباسية العسكرية، خصوصاً من غير العرب. وكانوا جزءاً مهماً من النظام العسكري المدافع عن الدولة. كما يطلق على أبنائهم الذين تفرغوا بعد ذلك إلى حياة الاستقرار والرفاهية.

بيت وثلث بيت. قال: وكذا قال لي البحتري فيه. وكان مع هذا حميد الأخلاق، ظريف المعاشرة وحلواً من الكهول.

ومولده سنة أربع ومائتين، وقت دخول المأمون بغداد من خراسان. وتوفي سنة ثمانين ومائتين. وله من الكتب المصنفة، كتاب المنثور والمنظوم، وجزّأه أربعة عشر جزءاً والذي بيد الناس ثلاثة عشر جزءاً. كتاب سرقات الشعراء. كتاب بغداد. كتاب الجواهر. كتاب المؤلفين. كتاب الهدايا. كتاب المشتق المختلف من المؤتلف. كتاب أسماء الشعراء الأوائل. كتاب ألقاب الشعراء... »[1].

وذكر له ابن النديم حوالي ستين مصنفاً، لم يذكر من بينها بلاغات النساء. وكذلك إسماعيل باشا البغدادي، لم يذكر بين مصنفاته بلاغات النساء[2]، لأن (بلاغات النساء) كان جزءاً من الكتاب الأول الذي ذكره ابن النديم، وهو المنثور والمنظوم، ولكنه طبع منفرداً بهذا الاسم.

قال الشيخ آقا بزرك الطهراني في ذكر كتاب

---

(١) الفهرست: ١٦٣.

(٢) هدية العارفين ١: ٥٢.

بلاغات النساء: «لأبي الفضل الكاتب الوراق أحمد بن أبي طاهر طيفور المروزي الخراساني البغدادي، المولود سنة ٢٠٤ والمتوفى سنة ٢٨٠ وهو الموسوم بالمنثور والمنظوم في أربعة عشر جزءاً، طُبع قطعةٌ منه في مطبعة والدة عباس (الأول) سنة ١٣٢٦، نقل عنه العلامة المجلسي في البحار خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام بالمدينة، وخطب نساء أهل البيت بالكوفة والشام وغيرها، فراجعه»[١].

فهو من الورّاقين، والكتّاب الذين يتكسّبون بمهنة نسخ الكتب وتصحيحها وتجليدها، وبيع الورق والحبر وأدوات الكتابة. وهي مهنة مهمة في ذلك الزمان، أشبه ما تكون بما عليه دور الطباعة والنشر والقرطاسية هذه الأيام. والكثير من الوراقين كانوا من المشايخ الكبار، والمحدثين الثقات، كأبي بكر الوراق، وغيره.

وبعض هؤلاء، بحكم مهنته هذه، تتوفر بين يديه مصادر مختلفة، تُمكّنه من التصنيف والكتابة، وهو ما يعلّل كثرة المصنفات عند بعضهم، لأنهم

(١) الذريعة ٣: ١٤٢. وقد ناقشنا عبارة الطهراني فيما تقدم.

لا يبذلون الكثير من العناء سوى النقل من مصادر أخرى، بل لا يتورع بعضهم عن الوضع والتزوير لكسب المال. وهناك من الأدباء والشعراء من يكتب للوراقين أيضاً للحصول على المال، فانتُحلت ووضعت الكثير من القصائد والكتب والخطب وغيرها على ألسنة المشاهير وغيرهم.

قال الطبراني مشيراً للسبب الذي دعاه لتأليف كتاب الدعاء: «هذا كتاب ألّفته جامعاً لأدعية رسول الله صلى الله عليه وسلم، حداني على ذلك أني رأيت كثيراً من الناس قد تمسكوا بأدعية سجع، وأدعيةٍ وُضعت على عدد الأيام، مما ألّفها الورّاقون، لا تُروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عن أحد من أصحابه، ولا عن أحد من التابعين بإحسان»[1].

وذكر الخطيب البغدادي قولاً لعبّاد بن العوام، في حال علي بن عاصم: «ليس ننكر عليه أنه لم يسمع، ولكنه كان رجلاً موسراً، وكان الورّاقون يكتبون له، فنراه أُتي من كتبه التي كتبوها له»[2].

ونجد أنّ ابن النديم يذكر ابن طيفور في عداد

---

(١) الدعاء: ٢٢.

(٢) تاريخ بغداد ١١: ٤٤٦.

(الوراقين الكذابين) في زمن الدولة العباسية. قال في الفهرست: «كانت الأسمار[1] والخرافات مرغوباً فيها، مشتهاة في أيام خلفاء بني العباس، وسيما في أيام المقتدر. فصنّف الوراقون، وكذبوا. فكان ممن يفتعل ذلك رجل يعرف بابن دلان، واسمه أحمد بن محمد بن دلان، وآخر يعرف بابن العطار، وجماعة. وقد ذكرنا فيما تقدم من كان يعمل الخرافات والأسمار على ألسنة الحيوان وغيره، وهم سهل بن هارون، وعلي بن داود، والعتابي، وأحمد بن أبي طاهر»[2].

وقد تقدم وصف ابن طيفور بكثرة التصحيف، والبلادة العلمية، وسرقة الشعر، واللحن.

ومن هنا تُدرك سر الخلل في صدر السند لأول وهلة، إذ ورد فيه (عن سعيد بن محمد الحميري أبو معاذ) فمن هو سعيد هذا؟ وكيف أخذ ابن طيفور عنه؟ هل أخبره مثلاً، أو وجده في كتاب؟ أو سمعه بواسطة؟

---

(١) السمر: حديث الليل، وجمعه أسمار. وغالباً ما تكون في مجالس الخلفاء والأمراء في اللهو والخيال وعلى ألسنة الحيوانات وأمثال ذلك. وهنالك كتب كثيرة ألفت في ذلك.

(٢) الفهرست: ٣٦٧.

وعند تكرار هذا السند، نجد أن بينه وبين (سعيد بن محمد أبو معاذ الحميري) واسطتين، وأن هذا الاسم مصحّف بل محرّف بشكل كبير.

والسبب في ذلك ظاهر، هو أن كتابه هذا من كتب الأدب، التي لا تعنى بالأسانيد ولا تصحيحها، إنما تعنيها النصوص في القصص والحكايات والأخبار، بغض النظر عن ثبوتها لأصحابها أو عدم ثبوتها، بل كثيراً ما يختلق مصنفوها النصوص الأدبية بحكم ممارستهم للأدب والشعر، بل يختلقون الأسانيد كما يختلقون المتون.

سندا ابن طيفور في بلاغات النساء:

ذكر ابن طيفور سندين لهذه الخطبة: الأول إلى الراوي الذي مر ذكره. والآخر إلى الإمام الصادق عليه السلام (عن آبائه) لكنه لم يذكر من هو الراوي المباشر الذي شاهد الحادثة وسمع أم كلثوم، والذي يفترض أنه من آباء الإمام الصادق عليه السلام أو من رووا عنه.

وسوف ننظر في هذين السندين:

السند الأول - عن حذام الأسدي، أو حذيم:

قال: «عن سعيد بن محمد الحميري أبو معاذ، عن

عبد الله بن عبد الرحمن، رجل من أهل الشام، عن شعبة، عن حذام الأسدي، وقال مرة أخرى حذيم، قال: قدمت الكوفة سنة إحدى وستين... ».

ثم كرر هذا السند بعد تمام الخطبة، ولكن جعل بينه وبين (سعيد بن محمد أبو معاذ الحميري) واسطتين. قال: «وحدثنيه عبد الله بن عمرو، قال: حدثني إبراهيم بن عبد ربه بن القاسم بن يحيى بن مقدم المقدمي، قال: أخبرني (سعيد بن محمد أبو معاذ الحميري) عن عبد الله بن عبد الرحمن، رجل من أهل الشام، عن حذيم الأسدي... ». فحذف (شعبة) من السند، وأضاف راويين بينه وبين سعيد بن محمد الحميري، وانتهى السند للراوي المزعوم نفسه، ثم إلى (أم كلثوم) لا إلى زينب عليها السلام.

السند الثاني - ما نسبه للإمام الصادق عليه السلام عن آبائه:

قال: وأخبر هارون بن مسلم بن سعدان، قال: أخبرنا يحيى بن حماد البصري، عن يحيى بن الحجاج، عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام، قال: لما أدخل بالنسوة من كربلاء... ورأيت نساء أهل الكوفة مشققات الجيوب... ورأيت أم كلثوم، ولم أر خفرة... ».

وسوف يأتي بالأدلة القاطعة أن هذا السند (مختلق) لم يرد لا في طرقنا ولا في طرق العامة، بل لم تُنسب هذه الخطبة بالمطلق للإمام الصادق عليه السلام على مدى القرون.

وسوف نبدأ بالسند الأول، وإن كان ساقطاً مسبقاً، لانتهائه للراوي المزعوم، ولكن زيادة في التأكيد، وجواباً لمن ادعى (التواتر) عن هذا الراوي، مع أنه لا يسمن ولا يغني من جوع:

نقد السند الأول:

أما سعيد بن محمد الحميري أبو معاذ: فقد ذكره لاحقاً، ولكن روى عنه بواسطتين. أي أن السند الأول مرسل، لأنه لم يدرك هذا الراوي ولم يرو عنه مباشرةً.

أضف إلى ذلك، أننا لم نجد لهذا الاسم أثراً في كتب الرجال والسير والتاريخ والتراجم، إنما هنالك اسم مشابه هو (أبو سعيد الحميري)، شامي، يروي عن معاذ بن جبل، فهو من التابعين، الذين لم يبق أحد منهم إلى المئة الثالثة، التي عاش فيها ابن طيفور. فقد توفي آخر التابعين سنة ١٨٠ هـ على ما قيل.

ولجهل المصنف أو الواضع بالأسانيد وأسماء

الرواة، حرّف العبارة من: «أبو سعيد الحميري عن معاذ» إلى «سعيد بن محمد الحميري أبو معاذ».

ويبدو أن بعضهم تنبّه لاحقاً لعدم إمكانية رواية ابن طيفور مباشرة عن أبي سعيد الحميري، فاستدرك بعد تمام الخطبة بسند فيه واسطتان للحميري، سوف نذكرهما بعد إتمام الكلام عن أبي سعيد الحميري.

ففي المعجم الكبير للطبراني: «حدثنا يحيى بن أيوب العلاف المصري، ثنا سعيد بن أبي مريم، أنا نافع بن يزيد حدثني حياة بن شريح أن أبا سعيد الحميري حدثه عن معاذ بن جبل، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اتقوا الملاعن الثلاث... »[1].

وقال ابن حجر: «أبو سعيد الحميري، شاميٌّ مجهول، من الثالثة، وروايته عن معاذ بن جبل مرسلة»[2].

وقال في التهذيب: « أبو سعيد الحميري، شامي.

---

(١) المعجم الكبير ٢٠: ١٢٣. ومثله في سنن أبي داود، والبيهقي، ومستدرك الحاكم، وغيرها.

(٢) تقريب التهذيب ٢: ٤٠٧.

روى عن معاذ بن جبل، أراه مرسلاً: حديث اتقوا الملاعن الثلاث»[1].

فهو عند العامة شامي مجهول، من التابعين المتقدمين، لم يدركه ابن طيفور، المولود سنة ٢٠٤ هـ. أما عند الشيعة فلا عين له ولا أثر في مروياتهم. فضلاً عن كونه مصحفاً محرفاً في السند المذكور.

أما الواسطتان اللذان ذكرهما فيما بعد عن الحميري، فهما: عبد الله بن عمرو، وإبراهيم بن عبد ربه بن القاسم بن يحيى بن مقدم المقدمي.

أما الأول: فهو «عبد الله بن عمرو بن عبد الرحمن بن بشر بن هلال الأنصاري، بلخي الأصل، سكن بغداد»[2]. ويعرف أيضاً: بابن أبي سعيد الوراق، أو أبي محمد الوراق. من إخباريي العامة، من الورّاقين أيضاً، ولد سنة ١٩٧ هـ وتوفي في سامراء سنة ٢٧٤ هـ. روى عنه ابن طيفور كثيراً في كتابه هذا. كان معاصراً له كما يتضح من تاريخ وفاته. وذكر الخطيب أيضاً في ترجمة ابن طيفور أنه روى عنه، كما تقدم سابقاً[3].

---

(١) تهذيب التهذيب ١٢: ٩٨.

(٢) تاريخ بغداد ١٠: ٢٧.

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٤: ٤٣٣.

قال عنه الخطيب البغدادي: «كان ثقة صاحب أخبار وملح»[1].

أما في كتب الشيعة، فلم يرد له ذكر في رجالهم ولا مروياتهم، سوى رواية واحدة في معاني الأخبار للصدوق[2]. وأخرى من طريق المرزباني في أمالي المفيد[3]، ومثله في أمالي الطوسي عن المرزباني أيضاً[4].

فهو من رجال العامة، وثّقه بعضهم، ولم يذكر في عداد رواة الشيعة.

قال الشيخ النمازي في المستدركات: «عبد الله بن أبي سعيد الوراق: لم يذكروه. وقع في طريق الصدوق في المعاني.. »[5].

وأما الثاني، وهو «إبراهيم بن عبد ربه بن القاسم بن يحيى بن مقدم المقدمي» فلا أثر له ولا عين، لا في مصادرنا، ولا في مصادر العامة. مع أنه مذكور حتى الجد الثالث مع اللقب! ومثل هذا النسب

---

(١) المصدر السابق.
(٢) انظر: معاني الأخبار: ٣٠٨.
(٣) أمالي المفيد: ٣٢٤. المجلس الثامن والثلاثون.
(٤) أمالي الطوسي: ٩٠. المجلس الثالث.
(٥) مستدركات علم رجال الحديث ٤: ٤٦٩.

يفترض أن لا يخفى في كتب التراجم والأنساب والرجال والتاريخ وغيرها.

وأما عبد الله بن عبد الرحمن، رجل من أهل الشام: فهو مجهول أيضاً، لا يعرف عنه سوى أنه شامي.

وأما شعبة، فلعله أراد شعبة بن الحجاج (٨٥ ١٦٠) وهو من أعلام العامة، وشيوخه معروفون ليس فيهم حذام الأسدي، ولا حذيم، ولا أي من الأسماء المختلفة للراوي الأول.

أضف إلى ذلك أننا لا نجد لهذا السند نظيراً ولا مثيلاً في المصادر، مع اضطراب واضح في ضبط الأسماء، أو كون الرواية عن بعضهم مباشرة أو بالواسطة، أو وجود بعضهم بالفعل.

فهو سند شاذ ملفّق. فيه اثنان من الشاميين، كلاهما مجهول، وآخر لا يبعد أن يكون مختلقاً، والرائحة الأموية فيه لا تخفى.

وفوق ذلك كله، ينتهي للراوي المزعوم نفسه، الذي تعددت أسماؤه ولم يُعلم شخصه. ثم إلى أم كلثوم لا إلى زينب عليها السلام.

نقد السند الثاني:

قبل البحث في هذا (السند) لا بد من ملاحظة الأمور التالية الخطيرة:

١. الأدلة الخارجية على بطلانه:

يلاحظ في هذا السند، أن متن الرواية عينُ ما ورد عن الراوي المزعوم بلا فرق. حال أنها بحسب الفرض عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه، عمّن كان حاضراً الحادثة المزعومة منهم، كالإمام السجاد عليه السلام مثلاً، أو أحد أبناء الإمام الحسن عليه السلام أو إحدى النساء. لكنه يقول: «ورأيت أم كلثوم عليها السلام ولم أر خفرة والله أنطق منها» فمن هذا الذي رآها فأثارت فيه العجب والإعجاب حال أنه من آباء الإمام الصادق عليه السلام أو أحد الرواة المعروفين؟ هل هو الإمام السجاد عليه السلام مثلاً؟ وهل كان قبل ذلك لا يعرفها ولم يرها، مع أنها عمته التي رافقته من المدينة إلى كربلاء ثم الكوفة؟

ويقول أيضاً: «لما أدخل بالنسوة من كربلاء إلى الكوفة، كان علي بن الحسين عليه السلام ضئيلاً نهكته العلة... فرفع علي بن الحسين بن علي عليهما السلام رأسه فقال: كذا وكذا. ورأيت شيخاً كبيراً من بني

جعفي». فهذا السرد مطابق تماماً لقول الراوي المزعوم الذي ورد قبل ذلك، ولا يمكن نسبته لعلي بن الحسين عليه السلام إذ لا يمكن أن يخبرنا أنه رأى نفسه، أو أنه فوجئ برؤية أم كلثوم تثير الإعجاب بمنطقها، ولا أنه أحد السبايا فيقول: لما أدخل بالنسوة.

وقد نستطيع افتراض أنها عن غير الإمام السجاد عليه السلام، كالحسن المثنى مثلاً، لكنه افتراض لا دليل عليه من أثر أو قرينة، ولم يقل به أحد، كما أن الحسن المثنى كان برفقة السبايا، فلا يمكن أن تصدر عنه تلك العبارات، وكأنه يتحدث عن غيره لا عن نفسه مع السبايا.

الثاني أن أحداً من الرواة أو المؤرخين أو المحدثين، لم ينسب رواية هذه الخطبة للإمام الصادق عليه السلام قطّ، لا من العامة، ولا من الخاصة. نعم، هنالك من نسبها إليه بعد طباعة الكتاب في القرن الماضي، كالسيد الأمين في الأعيان، والسيد البرقي في تاريخ الكوفة، وهذا ليس بحجة كما هو واضح.

فهنالك من نقل عن بلاغات النساء قبل طباعته، كالشيخ المجلسي وأمثاله، لكنهم لم يذكروا هذا

السند عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه، مع أنه أولى بالنقل من حذيم أو حذام أو خزيمة الأسدي، على ما فيه من العلل. مما يثر الشك أنه أضيف للمطبوع، أو أضيف للمخطوط قبيل الطبع. خصوصاً أن النسخة التي قوبلت عليها الطبعة الأولى للكتاب في مصر، كانت في المدينة المنورة كما ذُكر في مقدمتها. فلا يؤمن عليها من العبث والتلاعب.

الثالث لو كان لدى المفيد أو الطوسي أو غيرهما من الشيعة، أو من العامة، سندٌ آخر عن الإمام الصادق عليه السلام، لما عدلوا به سنداً واهياً ينتهي لراوٍ غير معلوم الوجود، ولشاع ذلك وذاع في مصنفاتهم عبر القرون، ولما كانت هنالك حاجة لسند عن خزيمة أو حذيم أو بشير أو ستير... إلخ. ولما أحوجوا أنفسهم إلى الوقوع في معمعة اختلاف الاسم إلى الحد الذي لم يستطع أحد ضبطه أو ترجيح إحدى الصيغ الواردة فيه.

الرابع أننا وجدنا عند التحقيق فيه أنه سند (ملفّق لا نظير له في كتب الشيعة ولا السنة)، مما يعني أن الواضع رصف بعض الأسماء إلى جنب بعض، فأوهم القارئ أنه (سند) لجهله بالأسناد والرجال، خصوصاً رجال الشيعة.

الخامس المتعارف في حال وجود سندين، أن يُقدّم السند الأعلى على ما دونه، فلو كان هناك سند عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه، لقدّمه المصنّف على السند إلى الراوي المزعوم، لا أن يؤخره إلى ما بعد ذكر الخطبة المزعومة عن الراوي المزعوم. وهذه قرينة أخرى على أنه ألحق بها فيما بعد، ولم يكن في أصل الكتاب.

٢. محاكمة رجال السند الثاني:

مع أن القرائن التي ذكرناها كافية للقطع واليقين باختلاق السند المذكور عن الإمام الصادق عليه السلام إلا أننا إتماماً للفائدة، وإغلاقاً لباب الذرائع، ارتأينا محاكمة السند المذكور أيضاً، لنستكشف ما هو أعمق في أساليب الوضاعين.

وسوف نذكر رجال السند بحسب ما ورد فيها:

أ أما هارون بن مسلم بن سعدان: فهو من أصحاب الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام وهو ثقة من وجوه الأصحاب. كان ابن طيفور من معاصريه، ولكن لم يرد في تاريخ ابن طيفور أنه سمع منه، أو روى عنه، إلا في هذا السند ومثله بضع روايات أخرى ذكرها هو نفسه في بلاغات النساء. كما لم نجد في تاريخ هارون بن مسلم بن

سعدان، أن ابن طيفور كان من تلامذته.

ولنفترض أنه أخذه عنه سماعاً.

ب وأما يحيى بن حمّاد البصري: فهو من رواة الصحيحين وغيرهما عند العامة، لكن لم يرد عندنا ولا عند غيرنا أنه يروي عن يحيى بن الحجاج الآتي، صاحب الإمام الصادق عليه السلام. ولم نجد له رواية في مصادرنا ولا مصادر العامة عن يحيى بن الحجاج. كما لم يُذكر في تاريخه أن هارون بن مسلم روى عنه، ولم نعثر على رواية لمسلم بن هارون، عن يحيى بن حماد، سوى هذه. إنما وجدنا العكس، أي أن يحيى بن حماد يروي عن هارون بن مسلم[1]، ولا نعلم إن كان المقصود هارون بن مسلم بن سعدان أو غيره.

قال البخاري في التاريخ: «يحيى بن حماد أبو زكريا البصري: سمع شعبة وأبا عوانة»[2].

وفي معرفة الثقات للعجلي: «يحيى بن حماد: بصرى ثقة، وكان من أروى الناس عن أبي عوانة»[3].

---

(١) انظر: ابن حبان، الثقات٧: ٥٨١.

(٢) التاريخ الكبير٨: ٢٦٧.

(٣) معرفة الثقات٢: ٣٥١.

وقال الرازي في الجرح والتعديل: «يحيى بن حماد أبو بكر البصري: روى عن شعبة وحماد بن سلمة وأبي عوانة ورجاء أبي يحيى، روى عنه محمد بن المثنى وبندار بن بشار»[1].

وقال ابن حبان في الثقات: «يحيى بن حماد الشيباني، كنيته أبو بكر من أهل البصرة يروي عن شعبة وأبي عوانة، روى عنه بندار وأهل البصرة. مات سنة خمس عشرة ومائتين»[2].

فهو من رواة العامة المعروفين عندهم، ولم يرو عن يحيى بن الحجاج صاحب الصادق عليه السلام، كما لم يرد في تاريخه أن هارون بن مسلم روى عنه.

ج أما يحيى بن الحجاج: فهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ومن عيون الأصحاب، لكنهم لم يذكروا أن يحيى بن حماد البصري لقيه أو روى عنه، كما لم ترد في مصادرنا أو مصادر العامة رواية عنه، إلا هذه الرواية.

فهذا السند أيضاً شاذ، ملفَّق من رواة مجهولين ومعلومين، بعضهم غير متحقق الوجود، لم يرو

---

(١) الجرح والتعديل ٩: ١٣٧.
(٢) الثقات ٩: ٢٥٧.

بعضهم عن بعض إلا في هذا السند. وفيه رجل معروف من رواة العامة، لم يرو عن الأئمة عليهم السلام ولا عن أصحابهم.

ثم إن الرواية في بلاغات النساء منسوبة لأم كلثوم وليست لزينب، فتخرج عن محل البحث ابتداءً، إلا أننا ناقشناها لدفع دعوى التصحيف أو الخطأ من ابن طيفور، أو غير ذلك.

وبعد ذلك كله لا نعرف من هو الراوي المباشر الذي زُعم في هذه الرواية أن آباء الإمام الصادق عليه السلام رووا عنه، بل لا يستقيم متن الرواية مع كونه كذلك.

***

المحور السابع:
دراسة متن الخطبة والخطب الملحقة

بعد أن تأكّد لنا عدم وجود راوٍ معلوم للخطبة المذكورة، بل هو راو مزعوم نُسبت إليه رواية حادثة كبرى وقعت في طريق السبي قبل الوصول إلى قصر الإمارة، مع خطبةٍ للسيدة زينب عليها السلام، وأنه خبر شاذ في فتوح ابن أعثم، أو بلاغات النساء، وربما البيان والتبيين. وأن المصادر التي أخذت عنها أو عن أحدها لم تتفق حتى على اسم الراوي، ولا على نص ثابت للخطبة، بل ولا على المتكلم نفسه[1]. مع إرسال الخبر في الأصل التاريخي عن (خزيمة الأسدي) المقتول قبل الحادثة بأكثر من عقدين من الزمن. أو أنه سند ملفق ينتهي للراوي المزعوم

(١) ذكرنا اختلاف ابن طيفور عن ابن أعثم في نسبتها لأم كلثوم لا إلى زينب عليها السلام.

نفسه لأم كلثوم لا إلى زينب. وأن من وقعوا في سند الشيخ المفيد فيما بعد، كانوا إجمالاً من رواة العامة، من المجهولين أو الشاميين وأمثالهم، مع انتهائه للراوي المفترض نفسه. وأن هذه الخطبة لم ترد من طرقنا بالمطلق، ولم تنسب لأحد من أئمتنا عليهم السلام لا في مصادرنا ولا مصادر غيرنا باستثناء ما ظهر بعد طباعة كتاب بلاغات النساء في مصر منسوبةً إلى أم كلثوم وأن حادثة توقف السبايا في الكوفة قبل وصولهم إلى قصر الإمارة لم ترد في التواريخ والمصادر المعتبرة بل حتى غير المعتبرة إلا من طريق هذه الرواية موضوع البحث.

بعد ذلك كله، وبعد الاطمئنان إلى أنها من موضوعات بعض الأدباء أو المؤرخين أو الرواة في العصر العباسي، ننتقل إلى البحث في مضامين النصوص المنقولة، وظروفها الخارجية والداخلية، فنجد الآتي:

١. موافقة النَّهج الناصبي:

أول ما يلاحظ على هذه الخطبة على اختلاف نصوصها أن مضمونها موافق تماماً للنهج الناصبي المتبنّي لخطاب تخوين الشيعة عموماً، وأهل العراق والكوفة بالخصوص، بل الطعن في أئمة الشيعة عليهم السلام. وهذا النهج من الثوابت التي لا ينبغي لباحث منصفٍ، أو قارئ للتاريخ بعين الحياد والموضوعية، التوقف عندها والتأمل فيها، وهو ما ذكرنا بعض شواهده في الفصل الأول[1].

فلو أننا استبدلنا باسم العقيلة زينب عليها السلام اسماً آخر من أسماء خصوم أهل البيت عليهم السلام، كمعاوية أو الحجاج أو المنصور أو غيرهم، لما كان هنالك أي فرق في مضمون الخطاب.

وكذلك الخطب الأخرى التي أضيفت لاحقاً، ونسبت للإمام السجاد عليه السلام وأم كلثوم وفاطمة الصغرى.

فيقتضي عند القول بصحة المضمون أن خطاب

(١) في كتاب: الكوفة كنز الإيمان، المنشور سابقاً.

معاوية والحجاج والمنصور وغيرهم من خصوم أهل البيت عليهم السلام بخصوص الشيعة كان حقّاً لا لبس فيه، وأنهم كانوا صادقين فيما قالوا. وعليه أيضاً، يلزم أن نتبع هؤلاء، ونطرح جميع الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بخصوص مدح أهل الكوفة وشيعة العراق، ونضرب بها عرض الجدار، فنكذب أئمتنا ونصدق أعداءهم في هذه الجزئية.

كما يلزم أن نكذّب الواقع التاريخي القطعي المخالف لهذا الخطاب.

فهذه الحادثة المزعومة وما ذُكر فيها من خطب، كلها تدور حول محور واحد، وتتفق على خطاب موحّد، ملخصه (خيانة وغدر أهل الكوفة بالإمام الحسين عليه السلام، وخداعه وقتله، كما قتلوا أباه وأخاه من قبل، وغدروا بهما وغرروا) وهو نسخة طبق الأصل من الخطاب الدعائي الذي اعتمده الأمويون والعباسيون، بالاستعانة بأقلام الزبيريين وغيرهم من المؤرخين والرواة من أعداء الأئمة عليهم السلام ومخالفيهم سياسياً أو عقدياً أو لأسباب أخرى.

***

٢. مخالفة النَّهج العلوي:

الملاحظة الأخرى: أن مضمون النصوص مخالف أيضاً لما ورد قطعياً عن أهل البيت عليهم السلام في تبنّي خطاب آخر مختلف عن هذا تماماً تجاه شيعتهم عموماً، وأهل العراق والكوفة بالخصوص. فلا يمكن بحال من الأحوال طرح الأحاديث الكثيرة التي ذكرناها بهذا الخصوص، وهي واردة عن أئمتنا عليهم السلام وبعض رجالات الشيعة كسلمان الفارسي، بأسانيد معتبرة صحيحة، في أعلى الكتب اعتباراً ووثاقةً، من أمثال الكافي والتهذيب والفقيه وكامل الزيارات وغيرها. وكذا عن كتب العامة وتواريخهم، مؤيَّدةً بالواقع التاريخي القطعي الذي نَقل مواقفهم المشرفة والمبدئية مع أئمتهم عليهم السلام، لصالح خبر عن راو واحد غير معلوم الوجود أساساً، أو أن روايته لحادثة بهذا الحجم مستحيلة لكونه قد مات قبلها بعقدين من الزمن على الأقل. أضف إلى ذلك أنه خبر وارد عن العامة بالخصوص، لا عن الخاصة. وأنه ظهر في عصر العباسيين، في فترة تصفية الحسابات السياسية والعقدية مع

الخصوم، وعلى رأسهم أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم.

فإما أن نتبنى خطاب خصوم الشيعة ومخالفي أئمة أهل البيت عليهم السلام من الأمويين والعباسيين والزبيريين، فنقول بصحة المتن المنسوب للسيدة العقيلة عليها السلام وأمثاله مما نسب إلى الإمام السجاد عليه السلام وغيره، أو نتبنى خطاب أئمتنا عليهم السلام المنسجم مع واقع تاريخي يشهد بخلاف ما ورد في هذه النصوص. وليس هناك خيار ثالث بينهما، اللهم إلا أن نجد هذه الخطبة أو أمثالها في مصدر معتبر من مصادرنا، منقولة عن ثقات رجالنا عن أئمتنا عليهم السلام، لندرس ظروفها وملابساتها، وليس إلى ذلك من سبيل كما تقدم، بل دون ذلك خرط القتاد.

***

٣. عدم مناسبة النصوص لنهج وأخلاق أهل البيت عليهم السلام:

مما يلاحظ في النص المنسوب للسيدة زينب عليها السلام أو النصوص الأخرى التي نسبت للإمام السجاد عليه السلام في الحادثة المزعومة ذاتها، عدم تناسبها وأخلاق أهل البيت عليهم السلام الذين ينطقون عن الوحي لا عن هوى أنفسهم كما هو حال غيرهم من أمراء السوء وأمثالهم.

فأول ما يلاحظ على تلك النصوص: الخطاب العام، الذي يجعل البريء والمسيء في حكم واحد، وهو خلاف قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[1] بل خلاف حكم العقل.

ويلاحظ كذلك ما نُسب للسيدة زينب عليها السلام وهي تخاطب النساء والرجال الذين خرجوا يبكون على الحسين عليه السلام: أتبكون، فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة. فعلى أقل التقادير أن النساء لا ذنب لهنّ، وقد خرجن صادقات في مواساتهنّ لهم بحسب الفرض فليس من أخلاق العقيلة عليها السلام أن

(١) الأنعام: ١٦٤.

تقابلهن بهذا الجفاء، بل هذا قبيح حتى على من هو دونها في المقام والفضل.

ومثله ما نسب إليها في وصف الرجال بقولها: وملق الإماء، أي تذلل الجواري وخضوعهنّ في الكلام والفعل، وحالهنّ معروف في ذلك.

ومنه ما نسب للإمام السجاد عليه السلام من قوله: أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه. وهذا الوصف جريمة بحق الإمام الحسين عليه السلام لا تصدر إلا عن عقلية أموية أو عباسية أو غيرها ممن لا يتورعون عن الطعن بالأئمة عليهم السلام قبل شيعتهم.

فليت شعري! كيف يكون المعصوم مخدوعاً يتحرك وفقاً لأهواء غيره ورغباتهم، خصوصاً من يعرفهم مسبقاً بالغدر والخذلان والخديعة بحسب الفرض؟!

ومثله ما نسب إليه عليه السلام من قوله: «هيهات أيها الغدرة المكرة... أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلى آبائي من قبل؟ كلا ورب الراقصات إلى منى». فهذا الكلام لا واقع له، فلم يأت أحد من أهل الكوفة إلى علي عليه السلام إلا شاهراً سيفه نصرةً له في الجمل وصفين والنهروان، ولم يأت أحد للإمام الحسن عليه السلام

فيخدعه ولم يذكر التاريخ سوى نصرتهم له.

أما الحسين عليه السلام فقد وضعه الأمويون بين خيارين لا ثالث لهما، إما البيعة والرضوخ، وإما القتل. فلم يبايع، وخرج من المدينة إلى مكة، دون أن يعلم به أهل الكوفة. ولم تأته كتبهم إلا بعد سماعهم بخروجه واستقراره طويلاً في مكة، وبعد كتبه التي أرسلها هو إلى البصرة يدعوهم فيها لنصرته. فلم تكن كتب الكوفيين سبباً لخروجه ونهضته، إنما كانت تحصيل حاصل في التعبير عن استعدادهم لمؤازرته في نهضته. أي أن نهضته سبقت كتبهم بوقت طويل، وأنه خرج بموجب رؤية واضحة، وبرنامج مخطط له بشكل دقيق، بقطع النظر عن انتهائه بالنصر أو الشهادة. وهذا هو المتناسب وشخصية المعصوم، لا أنه يتحرك استجابة لأهواء ورغبات الجمهور، فيُخدع ويقتل، كما صورته أقلام الدعاية العباسية ومن قبلها الأموية.

أما الأشعار التي نسبت إليهم في تلك الواقعة المزعومة فالوضع عليها ظاهر، والاختلاق فيها بيّن، وبمقارنة بسيطة بينها وبين كلامهم عليهم السلام في الصحيفة السجادية وأمثالها، يتضح أنها من اختلاق

من لا يفقه في أدب العرب وأشعارهم شيئاً.

وهنالك مقاطع وموارد في تلك النصوص، لا يخفى على المتأمل بُعدها عن أخلاق أهل البيت عليهم السلام وشأنهم، واستحالة اتصافهم بها، أو صدورها عنهم.

***

٤. عدم ذكر التواريخ توقف السبايا قبل الوصول لقصر الإمارة:

ذكرنا سلفاً بالتفصيل، أن أصل الحادثة لم يرد في التواريخ والمصادر المعتبرة، لا عند العامة ولا عند الخاصة، بل حتى غير المعتبرة. فلم يذكر أحدٌ من المؤرخين أو أرباب المقاتل المتقدمين، ولم يُنقل عنهم، أن السبايا توقفوا في الكوفة لإلقاء خطابات وسط أهلها قبل وصولهم لقصر الإمارة، إلا ما ذُكر في هذا الخبر الشاذ في فتوح ابن أعثم من كتب التاريخ، أو بلاغات النساء من كتب الأدب عن أم كلثوم وليس عن زينب مع اتحاد المضمون كما تقدم. وعن ابن أعثم أخذت بعض المصادر فيما بعد. أو ما روي من طريق المرزباني إلى الراوي المزعوم نفسه، كما نقله المفيد والطوسي.

فالتاريخ إن لم ينقل الحوادث الكبرى المشتهرة بين الناس، لا يستحق أن يسمّى تاريخاً، وهذه الحادثة على فرض وقوعها ليست بأقل شهرة من ديكٍ باض ببغداد بيضة، وبازيّ باض بيضتين،

ونعامة لا ذكر معها باضت بيضة[1] كما ذكرت بعض التواريخ.

وليست بأقل شهرةً من موقف عبد الله بن عفيف الأزدي، الذي ردّ في مجلس خاص محدود العدد على ابن زياد، فأغضبه، حتى جعله يلاحقه حتى قتله. وليست بأقل شهرةً من قول بعضهم لعمر بن سعد: أوقر ركابي فضة أو ذهباً، أمام نفرٍ من الناس لا يبلغون عشر المعشار من الآلاف الذين أحاطوا بالسبايا بحسب الزعم. ولا غيرها من الحوادث الصغيرة جداً التي ذكرها التاريخ. فكيف يُعقل أن يغفل مئات، بل آلاف المؤرخين والرواة والمحدثين، عن حادثة كبرى بهذا الحجم والأهمية فلا تُنقل إلا عن راو واحد مزعوم، أو مقتول قبل الحادثة بعشرين عاماً أو أكثر؟

إنّ دخول سبايا آل النبي صلى الله عليه وآله إلى الكوفة يعتبر الحدث التاريخي الأبرز على مرّ العصور في جميع الأمم، لا يضاهيه في الشهرة إلا مقتل الحسين عليه السلام

(١) انظر في حوادث سنة ٥٤٧ هـ: ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك١٨: ٨٣. وعنه ابن الأثير: الكامل في التاريخ١١: ١٧٥. ابن كثير: البداية والنهاية١٣: ٢٨.

في كربلاء. فلم يحصل في التاريخ أن أمةً قتلت ابن بنت نبيها ثم سبت نساءه بهذه الطريقة الوحشية الفظيعة، كما لم يحصل مثل ذلك في الكوفة لا قبل ذلك ولا بعده. أي أنه من الحوادث الكبرى النادرة التي لم تقع إلا مرة واحدة في التاريخ.

وما نقله بعضهم في هذا الخبر من خروج الناس بالآلاف وشدة تفاعلها مع الحدث، وما وصفه من مظاهر البكاء واللدم وشق الجيوب، بل حثو التراب على الرؤوس ونتف اللحى، يعني أن الحدث حظي باهتمام شعبي عام وخاص، لا نظير له حتى في واقعة الطف نفسها، التي لم يشهدها سوى الأجناد والقادة من المقاتلين. وقد كانت الكوفة في وقتها تعجّ بالرواة والمؤرخين والكتّاب والقرّاء وغيرهم.

أضف إلى ذلك أن الجمهور لم يكن من طيف مذهبي واحد، فهناك الخوارج والشيعة والعامة والنواصب، بل حتى بعض اليهود والنصارى، ومن مصلحة الكثيرين نقل الحادثة ونشرها.

معنى ذلك أن جميع دواعي ومقتضيات النقل متوفرة، مع عدم المانع من ذلك. فكيف غاب هذا الحدث الأهم والأبرز عن صفحات التاريخ، ولم

ينقله إلا راوٍ واحد مفترض مزعوم، لم نستطع التحقق من وجوده فضلاً عن حاله، وفي مصدر وحيد بعد حوالي قرنين من الواقعة، سواء كان الفتوح أو بلاغات النساء أو ما نسب للبيان والتبيين؟

ثم إن الرواة والمؤرخين كتبوا الكثير عن تاريخ واقعة الطف، كجابر الجعفي، والأصبغ بن نباتة، وعمار الدهني وغيرهم، ومن بعدهم أبو مخنف وأمثاله. فلم يُنقل عن هؤلاء جميعاً أنهم ذكروا الحادثة المزعومة، ولم يدّع أحدٌ ذلك.

هذا يعني أن الحادثة المزعومة برمّتها أي التوقف قبل الوصول لقصر الإمارة وإلقاء الخطب اختُرعت في أزمنة متأخرة بعد أكثر من قرنين من واقعة الطف، وفي العصر العباسي تحديداً، لتعزيز نظرية الخذلان والغدر التي تبناها العباسيون ومن قبلهم الأمويون وسائر النواصب، وعملوا على ترسيخها في الوعي العام، والدعاية لها بشتى الوسائل والطرق، ثم انتقلت في أواخر القرن الرابع، وبداية الخامس إلى

بعض مصادرنا الشيعية[1] بسند يتيم عن العامة أيضاً، ينتهي للراوي المزعوم ذاته. وهكذا انتشرت في المقاتل في أزمنة متأخرة، وأصبحت جزءاً من الثقافة الشيعية والوعي العاطفي العام والخاص عندهم.

***

(١) وهو أمالي الشيخ المفيد كما تقدم، نقلاً عن المرزباني.

٥. عدم رواية الحادثة من طرق الشيعة:

مما يلاحظ هنا على الحادثة المزعومة وما تضمنته من خطبة منسوبة للعقيلة الطاهرة عليها السلام، عدم ورودها من طرقنا ورواتنا عن أئمتنا عليهم السلام أو أصحابهم، في مصادرنا الخاصة، وهي بالآلاف، سواء ما وصلنا منها، أم لم يصل ولكن نُقلت عنه الأخبار. فلم نجد، ولم تُذكر ولو رواية واحدة تشير أو تصرح بوقوع الحادثة المفترضة. فأين كان عنها رواة الشيعة ومؤرخوهم ومحدّثوهم وكتّابهم، بل أين كان عنها أئمتهم عليهم السلام الذين عاشوا بين شيعتهم بعد واقعة الطف حوالي قرنين من الزمان؟ ولماذا انحصر نقلها في مصدر واحد وحيد عن العامة برواية مرسلة عن مجهول أو مقتول قبل الحادثة؟ أو عن بعض كتب الأدب لمن كانوا يعيشون على موائد العباسيين، بل من المتهمين بالوضع[1] أو المعروفين النصب[2]؟

باختصار شديد: أين كان رواة الشيعة

---

(١) وهو ابن طيفور وأمثاله من الورّاقين.
(٢) وهو الجاحظ.

ومؤرخوهم ومحدثوهم، بل أين أئمتهم عليهم السلام عن أعظم حادثة بعد واقعة الطف بيومين فقط، بحسب الفرض؟

ثم إنني لا أظنّ أحداً يتردد في القول: إن سبي الهاشميات الفاطميات كان أثقل وأشد على قلوب الأئمة عليهم السلام حتى من قَتْل الحسين عليه السلام، فالقتل لهم عادة، وكرامتهم من الله الشهادة، أما سبي نسائهم فلا يشكّ غيور في شدة وطأته على نفوسهم. فكيف غاب عنهم حال العقيلة وهي تقف سبية أسيرة تخطب بين الجموع؟ ولماذا لم يغفلوا عن حوارها مع ابن زياد، وخطبتها في الشام، مع أنهما في مجلسين محدودين، قياساً مع خطاب جماهيري حاشد في الكوفة بحسب الزعم؟

***

٦. اضطراب النصوص في نفسها وظروفها:

مما يلاحظ على النص المنقول عن السيدة العقيلة عليها السلام بصيغ مختلفة، وكذلك النصوص الأخرى الملحقة فيما بعد: الاضطراب الفاحش في ظروفها الخارجية، واختلافها بالزيادة والتغيير، وكما يلي:

أ- التناقض في وصف حال السبايا:

ذكر الشيخ المفيد والطوسي في روايتهما عن المرزباني التي تنتهي للراوي المزعوم نفسه، ونقله عنهما المجلسي والمولى البحراني في العوالم، وغيرهما، كيفية دخول السبايا إلى الكوفة، وأنهم كانوا بحالة مزرية يرثى لها، فلم تكن لديهم الحرية اللازمة في التحرك، وأن الإمام زين العابدين عليه السلام كان مقيّد اليدين، وفي عنقه الجامعة، مضافاً إلى ما كان عليه من حال المرض.

فقد روى كل من الشيخين الجليلين عن الراوي المزعوم أنه قال: «قدمتُ الكوفة في المحرّم سنة إحدى وستين عند منصرف علي بن الحسين عليهما السلام

بالنسوة من كربلاء، ومعهم الأجناد محيطون بهم، وقد خرج الناس للنظر إليهم، فلما أقبل بهم على الجمال بغير وطاء، جعل نساء أهل الكوفة يبكين وينتدبن، فسمعت علي بن الحسين عليهما السلام وهو يقول بصوت ضئيل وقد نهكته العلة، وفي عنقه الجامعة، ويده مغلولة إلى عنقه: ألا إن هؤلاء النسوة يبكين، فمن قتلنا؟

قال: ورأيت زينب بنت علي عليهما السلام، ولم أر خفرة قط أنطق منها... »[1].

ويؤيد ذلك ما ذكره السيد ابن طاوس في اللهوف، في شأن عمر بن سعد: «ثم رحل بمن تخلف من عيال الحسين عليه السلام، وحمل نساءه صلوات الله عليه على أحلاس[2] أقتاب الجمال بغير وطاء، مكشّفات الوجوه بين الأعداء، وهن ودائع الأنبياء، وساقوهن كما يساق سبي الترك والروم في

(١) أمالي المفيد: ٣٢١. أمالي الطوسي: ٩١.
(٢) جمع الحِلْس: بساط رقيق أو كساء يوضع على ظهر البعير تحت القَتَب، لوقاية بدنه أو امتصاص العرق. والقتب: الرَّحل الذي يوضع على سنام البعير للركوب عليه. والوطاء: بساط أو فراش يوضع على ظهر البعير أيضاً لراحة الراكب.

أشد المصائب والهموم»[1]. وهو ما أكدته مصادر أخرى أيضاً[2].

لكن الطبرسي في الاحتجاج ذكر صورة أخرى مغايرة، يبدو منها جليّاً أنهم كانوا أحراراً طلقاء، حتى أن الإمام السجاد عليه السلام بنى للنساء فسطاطاً[3] وأدخلهن إليه، ثم خرج بنفسه من الفسطاط ليكلم الناس!.

جاء في الاحتجاج: «عن حذيم بن شريك الأسدي قال: لما أتى علي بن الحسين زين العابدين بالنسوة من كربلاء[4]، وكان مريضاً، وإذا نساء أهل الكوفة ينتدبن مشققات الجيوب، والرجال معهن يبكون. فقال زين العابدين عليه السلام بصوت ضئيل وقد نهكته العلة: إن هؤلاء يبكون علينا، فمن قتلنا غيرهم؟ فأومت زينب بنت علي بن أبي طالب عليهما السلام إلى الناس بالسكوت. قال حذيم الأسدي: لم أر

(١) اللهوف: ٨٤.

(٢) انظر على سبيل المثال مضافاً لما ذكرناه من مصادر سابقة: الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية ١: ٢١٥.

(٣) الفسطاط: بيت من الشعر فوق الخباء. أو الخيمة الكبيرة.

(٤) لاحظ التعبير كيف يصور أنه أتى بنفسه مختاراً، لا أنه جيء به أسيراً رغماً عن إرادته.

والله خفرة قط أنطق منها... »[1].

فلم يذكر ما ذكره المفيد والطوسي ومن بعدهما السيد ابن طاوس، من كونهن على أحلاس أقتاب الجمال بلا وطاء، ولا أن الإمام عليه السلام في عنقه الجامعة، ويده مغلولة إلى عنقه. ثم أكد ذلك بالنص التالي:

«قال علي بن الحسين عليه السلام: يا عمة اسكتي، ففي الباقي من الماضي اعتبار، وأنت بحمد الله عالمة غير معلمة، فهمة غير مفهمة، إنّ البكاء والحنين لا يردّان من قد أباده الدهر[2]! فسكتت. ثم نزل عليه السلام وضرب فسطاطه، وأنزل نساءه، ودخل الفسطاط»[3].

ثم أكد ذلك أيضاً بما لا يدع مجالاً للشك بقوله: «احتجاج علي بن الحسين عليهما السلام على أهل الكوفة حين خرج من الفسطاط، وتوبيخه إياهم على غدرهم ونكثهم. قال حذيم بن شريك الأسدي: خرج زين العابدين عليه السلام إلى الناس وأومأ إليهم أن اسكتوا فسكتوا، وهو قائم، فحمد الله وأثنى عليه،

---

(١) الاحتجاج ٢: ٣٠٣.

(٢) هذا النص يصرح أنه عليه السلام كان ينهاها عن البكاء والحنين، لا عن الكلام والخطابة.

(٣) الاحتجاج ٢: ٣٠٥.

وصلى على نبيه، ثم قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني... »[1].

فهذه الإضافات والزيادات فضلاً عن كونها لم تُعرف في المصادر المتقدمة على عصر الطبرسي، وأنها أضيفت في القرن السادس تثير التساؤلات والإشكالات التالية:

١. أنها على النقيض مما رواه المفيد والطوسي، وما أكده ابن طاوس، من حملهن على أحلاس أقتاب الجمال من غير وطاء، مكشفات الوجوه، وتقدّم صورة أخرى تتلخص في كون السبايا كانوا بمنتهى الحرية، وأن السلطة سمحت لهم بممارسة شؤونهم، وبيان رأيهم، دون التعرض لهم أو لغيرهم بسوء.

بل يقتضي أنها هيّأت لهم كل ما يلزم لبناء الفسطاط في وسط الكوفة، وإقامة (مهرجان خطابي) شارك فيه ثلاث نساء، والإمام السجاد عليه السلام. وأن أم كلثوم خاطبت الحشد الجماهيري (من وراء كلّتها)، أي أنها كانت على هودج مستور، لا كما ذكر السيد من أنهن كنّ مكشفات الوجوه.

---

(١) المصدر السابق.

٢ . أن هذه الصورة على النقيض أيضاً مما عُرف عن أولئك العتاة المردة الأشرار، الذين لو تجسّد الإجرام والقسوة والوحشية بجسد، لما عداهم إلى غيرهم. فمن مقتضيات السبي أن يكون مع السبايا جنود وحرس، مهمتهم النقل من مكان المعركة إلى القيادة، وليس عليهم سوى التنفيذ. أما السماح بإقامة المهرجانات الخطابية أو عدم السماح بذلك، فمن اختصاص قيادتهم السياسية. وقد كانت قيادتهم بانتظار وصول السبايا لإكمال تنفيذ الأوامر الملكية بالكتابة إلى الشام بالموقف، ثم انتظار الأوامر من يزيد.

فكيف نزلت الرحمة على قلوبهم فجأة، واجتهدوا في السماح لهم بهذه الفعاليات السياسية والإعلامية، وهي ليست من اختصاصهم ولا صلاحياتهم أصلاً؟!

٣ . أن وضع الكوفة العسكري والأمني، وجلوس ابن زياد في قصره بانتظار السبايا، لا يمكن أن يسمح بمثل هذه الفعاليات والخطابات المخلّة بأمن السلطة. فالكوفة لا زالت تغلي غليان القدر منذ نهضة مسلم بن عقيل، ومن طبيعة السلطة أن

تحسب الحساب حتى للمعارض الواحد، فكيف تسمح للآلاف أن يحيطوا بالسبايا، ويستمعوا لخطابهم التحريضي؟

لقد أصدر ابن زياد أوامره المشددة في مُعارض واحد أعمى ثار في وجهه عند خطبته، هو عبد الله بن عفيف الأزدي، ولم يهدأ له بال حتى اعتقله وقتله، مع كونه أعمى لا حرج عليه. وهو الذي كان يأخذ على الظّنّة والتهمة، ويلاحق كل من له (هوى في الحسين وأهل بيته). فمن السذاجة أن يُظن به السماح لهذا العدد الهائل من الناس المتعاطف مع السبايا أن يأخذ حريته في معارضة السلطة ولو بأدنى فعل أو كلمة.

٤. بعد استبعاد الفرضية السابقة أي كون الأسارى أحراراً لا بد من استبعاد الفرضية التي قبلها أيضاً، وهي وقوف السبايا للخطاب، مع كونهن على أحلاس أقتاب الجمال، والسجاد عليه السلام مقيد. فالمرأة التي تكون بهذا النحو من الركوب على الجمل، ليست في وضع جسدي ولا نفسي يمكّنها من الكلام، خصوصاً بعد قطعها أكثر من ثمانين كيلومتراً وهي على هذه الحالة في أجواء الحرارة

اللاهبة. أما الإمام السجاد عليه السلام فالحال فيه أوضح.

فلا يبقى أمامنا سوى رفض أصل الوقوف للكلام وإلقاء الخطب، وهو ما يؤكده عدم نقل التاريخ لذلك كما سبق. لأن الأسارى لم يكونوا أحراراً، إنما كانوا مقيدين وفي حالة يرثى لها، ومن كان أسيراً، على أحلاس أقتاب الجمال، وسط تلك الأوضاع الأمنية، وظروف القسوة اللامحدودة، لا يمكن أن نصدق السماح له بالخطاب، ولا هو مستعد جسدياً ولا نفسياً لذلك. كما لا نتوقع من أولئك القساة أن يتعاملوا برحمة ورأفة مع الأسرى.

وخلاصة ما يعنينا من هذا المطلب: التناقض البيّن الفاحش بين صورتين للسبايا، منسوبتين إلى الراوي المزعوم نفسه، إحداهما أنهم أحرار طلقاء، توفرت لهم أسباب الراحة، والأخرى أنهم في حالة مزرية من الأسر، من التقييد والركوب على أحلاس أقتاب الجمال، وغير ذلك.

ب - الزيادات والإضافات في العصور التالية:

لا تكاد تجد مصدرين اتفقا على نص واحد للخطبة المزعومة، فقد ابتليت بالزيادات والتغيير بشكل كبير جداً. ولكن الأدهى من ذلك،

استحداث زيادات من خطب أخرى لم ترد في أصل الخبر.

فعند تتبع متن الخطبة زمنياً، نلاحظ فيه الكثير من الإضافات والتغييرات المهمة، بل أضيفت إليه ثلاث خطب أخرى لم ترد لا في الفتوح لابن أعثم، ولا في بلاغات النساء، ولا في سند المفيد والطوسي، بل أضيفت إليه بعض الأبيات لأسماء بنت عقيل، فيكون المجموع في ذلك (المهرجان الخطابي) أربع نساء ورجلاً. وهو ما سوف يأتي عند ذكر الخطب الإضافية التي ظهرت في القرنين السادس والسابع بالخصوص.

فمن تلك الزيادات مثلاً:

١. ما نقله ابن طيفور من زيادات في الخطبة المشابهة المنسوبة لأم كلثوم، لا نجدها فيما نقله ابن أعثم، مع أنه معاصر له، ولا يبعد أن ابن طيفور نقلها عنه، أو العكس:

فعند المقارنة بين النصين نجد الآتي:

ـ في الفتوح: بعد ذكر الآية الشريفة[1]، ورد قولها:

---

(١) في قولها: إنما مثلكم كمثل التي ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً تَتَّخِذُوْنَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُم﴾ ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم.

ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم. أما في بلاغات النساء فزيدت العبارة التالية بين الآية والعبارة السابقة: «ألا وهل فيكم إلا الصَّلَفُ والشَّنفُ، ومَلَق الإماء، وغَمْزُ الأعداء، وهل أنتم إلا كمرعىً على دمنة، أو كفضة على ملحودة، ألا ساء ما قدمت أنفسكم» وهذا لم يرد في الفتوح، مع أن الراوي واحد بحسب الفرض.

ـ في بلاغات النساء: «فلقد فُزتم بعارها وشنارها ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة». ولم يرد ذلك في الفتوح.

ـ الاختلاف بين الفتوح وبلاغات النساء في الشيخ الذي كان حاضراً الحادثة المفترضة، وماذا قال: ففي الفتوح أن (خزيمة الأسدي) قال: ونظرت إلى شيخ من قدماء (أهل مكة)، وقد بكى حتى اخضلّت لحيته، وهو يقول: قد صدقت المرأة، كهولهم خير كهول، وشبابهم خير شباب، إذا نطقوا نطق سحبان».

أما بلاغات النساء فذكر أن الشيخ (من بني جعفي)، وأنه قال شعراً:

قال ابن طيفور نقلاً عن الراوي (حذام أو

حذيم): «ورأيت شيخاً كبيراً من بني جعفي، وقد اخضلت لحيته من دموع عينيه، وهو يقول:

كهولهم خير الكهول ونسلهم إذا عدّ نسلٌ لا يبور ولا يخزى

وهذه الاختلافات الجوهرية وقعت بين المصدرين الأصليين للخطبة، وكلاهما في عصر واحد، هو أواخر القرن الثالث، وبدايات الرابع، وعن راو واحد. وسوف نجد زيادات أخرى إضافية في القرون التالية.

٢ . في رواية المفيد والطوسي في القرنين الرابع والخامس وردت زيادة على ما في بلاغات النساء في وصف أهل الكوفة بعد عبارة (الصّلَف والشَّنف) هي: «خوّارون[١] في اللقاء، عاجزون عن الأعداء، ناكثون للبيعة، مضيِّعون للذمة». وهذه لم ترد سابقاً في الفتوح، ولا بلاغات النساء، ولا حتى في المصادر اللاحقة أيضاً، كالاحتجاج واللهوف وغيرهما، مع أن الراوي واحد أيضاً.

٣ . في رواية المفيد والطوسي: «فسليل خاتم

(١) خوّارون: جبناء.

الرسالة، وسيد شباب أهل الجنة... خذلتم، وله قتلتم». وهذه لم ترد لا في المصادر السابقة ولا اللاحقة أيضاً.

٤ في الاحتجاج للطبرسي (ت ٥٨٨ هـ) أي في القرن السادس[١]: أضيفت مفردتا (العجب، والكذب) إلى المفردات الأخرى، وهذه عبارته: «هل فيكم إلا الصلف (والعجب)، والشنف (والكذب)، وملق الإماء وغمز[٢] الأعداء».

كما أضيفت إليها بعد قولها المزعوم: إن ربك لبالمرصاد: «ثم أنشأت تقول:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم
ماذا صنعتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتي وأولادي وتكرمتي
منهم أسارى ومنهم ضُرّجوا بدم

---

(١) لا يوجد تاريخ دقيق لسنة ولادة أبي منصور الطبرسي ولا وفاته، فقيل: توفي سنة ٥٤٨ هـ. وقيل: ٤٦٠ هـ. وقيل: ٥٨٨ هـ. وقيل: ٦٢٠ هـ. وكلها استنتاجات واجتهادات لا يمكن التعويل على شيء منها. لكن المرجح أنه في القرن السادس، كما يظهر من غالب الأقوال.

(٢) الغمز: العيب والذكر بالقبيح. أي تذكروننا بالقبيح. والمغامز المعايب.

مـا كان ذاك جزائـي إذ نصحـت لكـم
أن تخلفـوني بسـوء في ذوي رحمـي
إني لأخشـى عليكـم أن يحـل بكـم
مثـلُ العـذاب الـذي أودى على إرم»[1]

قال بعدها: «ثم ولت عنهم».

وهذا كله لم يرد في العصر الذي سبق الطبرسي كما رأيت.

٥. جمعت عبارة الطبرسي، في ما جاء عن الشيخ المشار إليه، بين عبارتي ابن طيفور وابن أعثم، وزادت عليهما قليلاً، فكان النص كالآتي:

قال نقلاً عن الراوي المزعوم: «فالتفت إليّ شيخٌ في جانبي يبكي، وقد اخضلت لحيته بالبكاء، ويده مرفوعة إلى السماء، وهو يقول: بأبي وأمي، كهولهم خير كهول، ونساؤهم خير نساء، وشبابهم خير شباب، ونسلهم نسل كريم، وفضلهم فضل عظيم. ثم أنشد:

كهولهم خير الكهول ونسلهم إذا عدّ نسلٌ لا يبور ولا يخزى»[2].

---

(١) الاحتجاج ٢: ٣٠٥.
(٢) الاحتجاج ٢: ٣٠٥.

٦ . في الاحتجاج أيضاً، وردت الزيادة التالية على ما في بلاغات النساء من البيت السابق بعد قوله: إذا عُدّ نسلٌ لا يبور ولا يُخزى: «فقال علي بن الحسين عليه السلام: يا عمة اسكتي ففي الباقي من الماضي اعتبار، وأنت بحمد الله عالمة غير معلمة، فهمة غير مفهمة، إن البكاء والحنين لا يردّان من قد أباده الدهر، فسكتت. ثم نزل عليه السلام وضرب فسطاطه[1]، وأنزل نساءه ودخل الفسطاط»[2].

إضافة خطبة للإمام السجاد عليه السلام لاحقاً:

٧ . ظهرت في القرن السادس أيضاً، خطبة جديدة نُسبت للإمام السجاد عليه السلام، في كتاب الاحتجاج كذلك، ولم تكن وردت في المصادر السابقة التي نقلت الرواية نفسها، عن الراوي المزعوم ذاته، وهي كالتالي:

«احتجاج علي بن الحسين عليهما السلام على أهل الكوفة حين خرج من الفسطاط، وتوبيخه إياهم على غدرهم ونكثهم: قال حذيم بن شريك الأسدي: خرج زين العابدين عليه السلام إلى الناس وأومأ إليهم أن

---

(١) الفسطاط: خيمة كبيرة فوق الخباء ودون السرادق.
(٢) الاحتجاج ٢: ٣٠٥.

اسكتوا فسكتوا، وهو قائم، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه، ثم قال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني! ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين، المذبوح بشط الفرات من غير دخل[1] ولا تراث، أنا ابن من انتهك حريمه، وسلب نعيمه، وانتهب ماله، وسبي عياله. أنا ابن من قتل صبراً، فكفى بذلك فخراً. أيها الناس ناشدتكم بالله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة، قاتلتموه[2] وخذلتموه؟ فتباً لكم ما قدمتم لأنفسكم وسوء لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول لكم: قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي، فلستم من أمتي. قال: فارتفعت أصوات الناس بالبكاء، ويدعو بعضهم بعضاً: هلكتم وما تعلمون. فقال علي بن الحسين: رحم الله امرءاً قبل نصيحتي، وحفظ وصيتي في الله

---

(١) كذا في المطبوع، والصحيح: ذحل، وهو الثأر. وقيل: والتِّرات: جمع التِّرة: الثأر.

(٢) لا ندري إن كان يخاطب من قاتلوا الحسين عليه السلام فقتلوه، أو من خذلوه فلم يقاتلوا معه، أو يخاطب النساء اللاتي خرجن يلتدمن. هذا ما سوف يأتي في وصف حال المخاطبين، وكيف أن النصوص التي ذكروها لم تستقر على حال في وصفهم.

وفي رسوله، وفي أهل بيته، فإن لنا في رسول الله أسوة حسنة. فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا يا بن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك رحمك الله، فإنّا حرب لحربك، سلم لسلمك، لنأخذنّ ترتك وترتنا، عمن ظلمك وظلمنا.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: هيهات هيهات! أيها الغدرة المكرة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلى آبائي من قبل؟! كلا ورب الراقصات إلى منى، فإن الجرح لما يندمل! قتل أبي بالأمس، وأهل بيته معه، فلم ينسني ثكل رسول الله صلى الله عليه وآله. وثُكل أبي، وبني أبي، وجدي، شق لهازمي، ومرارتُه بين حناجري وحلقي، وغصصه تجري في فِراش صدري[1]. ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا:

ثم قال عليه السلام:

لا غرو أن قتل الحسين وشيخه قد كان خيراً من حسين وأكرما

(١) لم أجد مثيلاً لهذا التعبير على الإطلاق في كتب الأدب واللغة والمعاجم. بل لم أجده إلا في هذه الرواية حصراً.

فلا تفرحوا يا أهل كوفة بالذي أصيب حسينٌ[1] كان ذلك أعظما

قتيل بشط النهر نفسي فداؤه جزاء الذي أرداه نارُ جهنما»[2].

وهذه الزيادة عن الراوي المزعوم نفسه، لم ترد قبل الطبرسي لا في مصادرنا ولا مصادر العامة. وأول ظهور لها، كان في القرن السادس.

إضافة خطبة لفاطمة الصغرى لاحقاً:

٨ . في القرن السادس أيضاً، وفي كتاب الاحتجاج، ظهرت لأول مرة خطبة جديدة نُسبت لفاطمة الصغرى، أرسلها الطبرسي عن زيد بن موسى (زيد النار)، ورواها من بعده ابن نما الحلي في القرن السابع ولكن عن (خديم الأسدي) أي الراوي المزعوم نفسه:

فمنها ما ورد في ذكر علي عليه السلام: «المسلوب حقه، المقتول من غير ذنب، كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت الله، فيه معشر مسلمةٌ بألسنتهم، تعساً

---

(١) لا يخفى على اللبيب ما في هذا البيت، بل الأبيات من ركاكة لا تتناسب وبلاغة الإمام المعهودة التي نجدها في الصحيفة السجادية وغيرها.

(٢) الاحتجاج ٢: ٣٠٥.

لرؤوسهم، ما دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته»[1].

ومنها: «يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء، فإنا أهل بيت، ابتلانا الله بكم وابتلاكم بنا فجعل بلاءنا حسناً... فكذّبتمونا، وكفّرتمونا، ورأيتم قتالنا حلالاً، وأموالنا نهباً، كأننا أولاد ترك وكابل، كما قتلتم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدم. قرّت لذلك عيونكم، وفرحت به قلوبكم، افتراء على الله، ومكراً مكرتم، والله خير الماكرين، فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا»[2].

ومنها: «ويلكم أتدرون أية يد طاعنتنا منكم؟ وأية نفس نزعت إلى قتالنا، أم بأية رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا، والله قست قلوبكم وغلظت أكبادكم وطبع على أفئدتكم وختم على سمعكم وبصركم، وسوّل لكم الشيطان وأملى لكم وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون. فتباً لكم يا أهل الكوفة أي تراث لرسول الله صلى الله عليه وآله

(١) الاحتجاج ٢: ٣٠٢.
(٢) المصدر السابق.

وسلم قبلكم ودخول[1] له لديكم بما غدرتم بأخيه علي بن أبي طالب، جدي وببنيه وعترته الطيبين الأخيار فافتخر بذلك مفتخر فقال:

نحن قتلنا علياً وبني علي بسيوف هندية ورماح
وسبينا نساءهم سبي ترك ونطحناهم فأي نطاح
بفيك أيها القائل الكثكث والأثلب، افتخرت بقتل قوم زكاهم الله وطهرهم الله وأذهب عنهم الرجس».

ومنها: «فارتفعت الأصوات بالبكاء والنحيب، وقالوا: حسبك يا ابنة الطيبين، فقد أحرقت قلوبنا، وأنضجت نحورها، وأضرمت أجوافنا. فسكتت».

وهو أول ظهور لهذه الخطبة أي في القرن السادس، ولكن اختلف النقل بين الطبرسي وابن نما الحلي، فأرسلها الأول عن زيد بن موسى، والثاني عن الراوي المزعوم نفسه، بلا سند أيضاً.

إضافة خطبة لأم كلثوم لاحقاً:

٩. في مثير الأحزان لابن نما الحلي (ت ٦٤٥ هـ) واللهوف للسيد ابن طاوس (٦٦٤ هـ) أي في القرن

(١) الصحيح: ذحول.

السابع، أضيفت خطبة أخرى قصيرة جداً لهذا (المهرجان الخطابي)، وهي لأم كلثوم، نسبها ابن نما الحلي للراوي المزعوم (خديم الأسدي) فيما نسبها السيد لزيد بن موسى، ومضمونها واحد، هو: خذلان أهل الكوفة للحسين عليه السلام، وغدرهم به، وقتلهم إياه. ولكن هناك اختلاف كبير في ألفاظها:

قال السيد ابن طاوس: «وخطبت أم كلثوم بنت علي عليه السلام في ذلك اليوم من وراء كلّتها[1]! رافعة صوتها بالبكاء[2]، فقالت: يا أهل الكوفة، سوأة لكم، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه، وانتهبتم أمواله وورثتموه[3]، وسبيتم نساءه ونكبتموه، فتباً لكم وسحقاً»[4].

ومنها: «قتلتم خير رجالات بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونُزعت الرحمة من قلوبكم[5]».

---

(١) الكِلّة: صوفة حمراء في رأس الهودج. وهي أيضاً: غشاء رقيق يتوقى به من البعوض. وسترة للنساء في جانب الخيمة. والكُلّة بالضم: الستر الرقيق. وهذا يتناقض مع كونهن مكشفات الوجوه بين الأعداء، كما ذكر ابن طاوس نفسه. وعبارة ابن نما: «من وراء كلّة».

(٢) في مثير الأحزان: وقد غلب عليها البكاء.

(٣) هذه العبارة لم ترد في مثير الأحزان: «ونهبتم أمواله وورثتموه».

(٤) اللهوف: ١٥٤. مثير الأحزان: ٨٨.

(٥) في مثير الأحزان لم ترد عبارة: «ونزعت الرحمة من قلوبكم».

إلا أن هؤلاء الذين نُزعت الرحمة من قلوبهم في هذا النص، فقدوا صوابهم وجزعوا بشكل لا يصدّق:

قال السيد: «قال الراوي: فضج الناس بالبكاء والنوح[1]، ونشر النساء شعورهن، ووضعن التراب على رؤوسهن، وخمشن وجوههن، وضربن خدودهن، ودعون بالويل والثبور، وبكى الرجال، ونتفوا لحاهم، فلم يُرَ باكية أكثر من ذلك اليوم».

كما ذكرا أبياتاً نسباها لأم كلثوم لا يخفى ما فيها من ركاكة ولغة ساذجة لا تتناسب ولغة ذلك العصر، فضلاً عن نسبتها لأهل الفصاحة والبلاغة من أهل البيت عليهم السلام وذراريهم، وهي:

قتلتم أخي صبراً فويلٌ لأمكم ستُجزون ناراً حرّها يتوقد

سفكتم دماءً حرم الله سفكها وحرمها القرآن ثم محمد

ألا فابشروا بالنار إنكم غداً لفي قعر نار، حرها يتصعد[2]

---

(١) إلى هنا تنتهي عبارة ابن نما الحلي.

(٢) في مثير الأحزان: لفي سَقرٍ حقاً يقيناً تُخلدوا!

وإني لأبكي في حياتي على أخي على خير من بعد النبي سيولد

بدمع غزير مستهل مكفكف! على الخد مني دائماً ليس يخمد[1]

والمضمون باختصار: أن الذين يبكون عليه وينوحون ويلطمون هم الذين خذلوه وقتلوه وهم شيعته، لا بنو أمية.

١٠. في المناقب لابن شهرآشوب أيضاً، أي في القرن التاسع نجد الزيادة التالية: «وخرجت أسماء بنت عقيل تنوح وتقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم يوم الحساب وصدق القول مسموع

خذلتم عترتي أو كنتم غيباً والحق عند ولي الأمر مجموع

أسلمتموه بأيدي الظالمين فما منكم له اليوم عند الله مشفوع!

ما كان عند غداة الطف إذ حضروا تلك المنايا ولا عنهن مدفوع»

---

(١) في مثير الأحزان: ذايباً ليس يحمدُ.

ولم يذكر أين خرجت؟ لكنه ذكر قبلها الخطبة المنسوبة للسيدة زينب عليها السلام، في الكوفة. إلا أننا نجد هذا الشعر منسوباً إلى أسماء بنت عقيل في المدينة المنورة وليس في الكوفة، وقد رواه المفيد والطوسي عن المرزباني[1].

ولا يخفى أيضاً ما في هذه الأبيات من ركاكة ومخالفة لأبسط قواعد اللغة.

ج - التناقض الفاحش في وصف حال المخاطبين:

من خلال ما أوردناه من الخطبة المنسوبة للسيدة زينب سلام الله عليها، وما أُلحق بها من تغيير وعبارات إضافية وخطب أخرى عبر القرون، نلاحظ أن هذا السرد والوصف، ليس إلا خلاصة موجزة للتنظير الأموي والعباسي، وما سطرته أقلام بني الزبير. فضلاً عما فيها من التهافت البيّن.

فهي من جهة تنعت المخاطبين بقساوة القلوب، ونزع الرحمة من قلوبهم، وأنهم باشروا قتل علي والحسين عليهما السلام، وأنهم افتخروا بذلك وأنشدوا

(١) انظر: أمالي المفيد: ٣١٩. انظر: أمالي الطوسي: ٩٠.

الشعر، ودعتهم أنفسهم إلى الجذل بما أصابوا من دماء أهل البيت عليهم السلام، ومن جهة أخرى يصفهم الراوي المزعوم بالتعاطف غير المحدود، وأن أصواتهم ارتفعت بالبكاء والنحيب. وكما تقدم في الرواية المفترضة عن السيدة زينب عليها السلام أن النساء تلقتهم مشققات الجيوب يلتدمن وينتحبن. بل في وصف السيد ابن طاوس أن النساء نشرن شعورهن، ووضعن التراب على رؤوسهن، وخمشن وجوههن، وضربن خدودهن، ودعون بالويل والثبور، وبكى الرجال، ونتفوا لحاهم.

خلاصة ما أراده الواضع أمرٌ واحد فقط: أن الشيعة قتلوا علياً والحسين، ثم راحوا يبكون عليهم، كما جاء في قصيدة ابن المعتز العباسي (ت ٢٥٥ هـ) في وصف أهل الكوفة:

وأخذوا وقتلوا علياً ... العادل البر التقي الزكيا
وقتلوا الحسين بعد ذاكا ... فأهلكوا أنفسهم إهلاكا
وجحدوا كتابهم إليه ... وحرفوا قرآنهم عليه
ثم بكوا من بعده وناحوا ... جهلاً كذاك يفعل التمساحُ
فقد بقوا في دينهم حيارى ... فلا يهودٌ هم ولا نصارى

لكن اختلاف المصنفين فيما بينهم عبر العصور،

قدّم صورة مشوشة متناقضة غير متناسقة للمخاطبين، فلا هم شيعة متعاطفون بالمطلق وإن قصروا وخذلوا، ولا هم أعداء قتلة، شامتون، نواصب، مفتخرون، فرحون بما صنعوا.

د - عدم مناسبة الكثير من التعابير لمقتضى الحال:

هنالك الكثير من الأوصاف التي ذُكرت في الخطبة المنسوبة للسيدة العقيلة عليها السلام أو ما نُسب بعد ذلك لغيرها من خُطب، لا تتناسب على الإطلاق مع واقع الحال الذي كان عليه أهل الكوفة، بل لا يتناسب حتى مع غير الشيعة منهم.

فمن ذلك مثلاً ما ورد في بلاغات النساء من وصفهم بالقول: وهل فيكم إلا الصلف والشنف، والصلف: كثرة مدح النفس بما ليس فيها. والشَّنَف: شدة البغض. وهذه الأوصاف لم تعرف عن أهل الكوفة على مدى التاريخ، إنما عرفت عن غيرهم ممن حاربوا علياً عليه السلام. فقد آزر أهل الكوفة علياً عليه السلام في الجمل وصفين والنهروان، ولم يعرف عنهم سوى البأس الشديد، والشجاعة المنقطعة النظير، واستشهد منهم الآلاف، وسطر التاريخ الكثير من

ملاحمهم، وكانوا أشد الناس حباً لعلي عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام كما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. وهذا ما ذكرنا جانباً منه في الفصل الثاني[1]. فكيف يمكن بعد ذلك وصفهم بهذه الأوصاف المخالفة لذلك؟

ومن ذلك أيضاً وصفهم بالإماء المتملقة (ملق الإماء) فلو كانوا كذلك لكانوا كغيرهم من سائر الأمصار، معززين مكرمين لدى السلطات الحاكمة، بدلاً من الثورات المتلاحقة التي تميزت بها الكوفة دون غيرها. فأي إماء متملقة تقود الثورات الدموية في وجه أعتى الدكتاتوريات التي عرفها تاريخ المسلمين؟

ومن ذلك: غمز الأعداء. فهل كانت الكوفة حقاً من أعداء علي عليه السلام وأهل بيته؟ فمن ذا الذي نصره غيرها إذا كانت كذلك؟

ومن ذلك ما نسبوه إلى فاطمة الصغرى من قولها في وصف حال تلك الجماعة من أهل الكوفة مع علي عليه السلام: ما دفعتْ عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته!. وقولها: فكذّبتمونا وكفّرتمونا ورأيتم قتالنا

(١) انظر: الكوفة كنز الإيمان، المنشور سابقاً.

حلالاً وأموالنا نهباً... كما قتلتم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدم. قرت لذلك عيونكم وفرحت قلوبكم افتراء على الله ومكراً مكرتم... فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا.

فماذا ترك الواضع من أوصاف لبني أمية والنواصب إذا كانت هذه أوصاف شيعتهم من أهل الكوفة؟

فالمتأمل المنصف في نصوص الخطب المذكورة، لا يستطيع أن يتجاوز حقيقة إلصاق كل صفة من صفات النواصب وأشياع السلطات الأموية والعباسية، بشيعة أهل البيت عليهم السلام في الكوفة، بل حتى غير الشيعة ممن ناصروا علياً عليه السلام.

***

خلاصة البحث

١ . المصدر التاريخي الوحيد الأقدم لخطبة السيدة زينب عليها السلام في الكوفة بالخصوص، هو الفتوح لابن أعثم، الذي أرسل الخبر عن خزيمة الأسدي، وقد تبين أنه من أصحاب معاوية، قُتل في صفين قبل واقعة الطف بأكثر من عشرين سنة، على الأرجح، أو مات بعدها بقليل. ثم حاول بعضهم أن يستبدل به اسماً آخر، فزاد الأمر غموضاً وتعقيداً بتعدد الأسماء لمسمى واحد هو الراوي نفسه دون غيره. وقد أحصينا له تسعة عشر اسماً غير الاسم الأول وهو المقتول أو المتوفى قبل واقعة الطف بسنوات عديدة.

٢ . سند الشيخ المفيد عن المرزباني المعتزلي، ينتهي للراوي نفسه، مع عدم الاتفاق على اسم واحد له. وفوق ذلك كله، فهو سندٌ ملفق شاذ، فيه المجاهيل

والعامة والشاميون، وليس عن رجال الشيعة.

٣. روى ابن طيفور متن الخطبة المنسوبة لزينب عليها السلام لكنه نسبها لأم كلثوم، وذكر سندين كلاهما شاذ ملفق، ينتهي أحدهما لذات الشخصية المزعومة. والآخر للإمام الصادق عليه السلام عن آبائه، دون ذكر الراوي المباشر. لكنه سند ملفّق شاذ أيضاً، فيه المجاهيل، وبعض رجال العامة ممن لم يرو عن الإمام الصادق عليه السلام ولا عن أحد من شيعته. كما أن أحداً من الشيعة أو غيرهم لم ينسب هذه الخطبة للإمام الصادق عليه السلام على الإطلاق، ولم يظهر هذا السند إلا بعد طباعة كتاب بلاغات النساء في مصر، في العصر الحديث.

٤. سياق الخطبة متفق تماماً مع التثقيف الأموي والعباسي والزبيري في تخوين الكوفة (الشيعية) ومخالف في الوقت نفسه لما ورد مؤكداً عن أهل البيت عليهم السلام في مصادرنا ومصادر غيرنا من مدح الكوفة وأهلها وتربتها.

٥. الكثير من فقراته مخالف للشريعة ولصريح القرآن الكريم القائل: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى﴾. فهؤلاء الذين اجتمعوا حول السيدة زينب عليها السلام

بحسب الفرض لا يتحملون مسؤولية قتل الحسين عليه السلام خصوصاً أن غالبيتهم من المستضعفين من النساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً.

كما أنه مخالف تماماً لما عُرف عن أهل بيت لا ينطقون عن الهوى والانفعالات النفسية، مهما بلغت وطأة المصائب والمصاعب على نفوسهم، فكلامهم محسوب ومدروس بعناية، لا كما هو حال غيرهم.

٦ . اضطراب أوصاف الواردة المخاطبين الذين ذكرتهم هذه الخطبة أو الخطب المضافة لاحقاً، فلا هم أعداء قتلة شامتون فرحون بأفعالهم، ولا هم شيعة نادمون على ما فعلوا بحسب الفرض.

٧ . الاضطراب في وصف حال السبايا، بين كونهم أسارى مقيدين، محمولين على أصعب المراكب، وبين كونهم أحراراً ينصبون الفساطيط ويلقون الخطب في مهرجان خطابي.

٨ . أن مقتضى الحال يفرض أن تُنقل الخطبة أو الحادثة إجمالاً بالتواتر، أو الاستفاضة على الأقل، فقد افترض الراوي أنها كانت تخطب أمام الآلاف

من الناس في الكوفة، وهي مدينة معروفة بكثرة المؤرخين والمحدثين والحفاظ والأدباء وغيرهم، وكان بصحبة السيدة زينب عليها السلام أيضاً عشرات النساء، بل بعض الرجال أيضاً. فأين كان هؤلاء الآلاف عن خطبة رنانة، لم ينقلها سوى شخص وهمي أو مقتول قبل الحادثة بأكثر من عشرين عاماً؟

٩ . لم تذكر التواريخ المشهورة وغير المشهورة، أن السيدة زينب عليها السلام سُمح لها بالخطاب في الكوفة قبل وصولها إلى قصر الإمارة، ولم نجد سوى هذه الرواية اليتيمة عن شخص وهمي أو نائم في قبره وقت دخول السبايا، بل الشواهد التاريخية تؤكد أن الأسارى دخلوا الكوفة في حالة بائسة من الجوع والإذلال، وأن الكوفة كانت لا تزال تحت الحصار، بل مقتضى الحال أن يكون التشديد عليها أكثر عند دخول السبايا خوفاً من الإرجاف بسبب العواطف الجياشة والتفاعل مع الأسرى.

وقد حدثت بالفعل ردة فعل شديدة من عبد الله بن عفيف الأزدي لما سمع ابن زياد ينتقص من سيد الشهداء. فكيف تسمح السلطة بحرية الحركة للأسرى واللقاء بالجمهور، وهو المعروف عنه

الغدر وسرعة الانقلاب بحسب الثقافة الأموية؟

١٠ . كثرة التحريف والتغيير والإضافات، بل اختلاق الخطب الجديدة الإضافية عبر الأزمنة.

١١ . الكثير مما ورد في الخطبة المذكورة، أو الخطب الملحقة بها بعد ذلك، لا يتناسب وواقع أهل الكوفة، حتى مع غير الشيعة فيها.

١٢. الكثير مما ورد فيها لا يعكس الصورة الوحشية الحقيقية لابن زياد وجيشه في تعامله مع السبايا.

وقد ذكرنا ذلك وغيره تفصيلاً فيما مضى.

بناء على المعطيات المذكورة، نجد أن ما روي في هذه الرواية المزعومة من وقوف زينب عليها السلام تخطب بين جمهور أهل الكوفة، وما نُسب إليها من خطبة تناقلها الناس واشتهرت بينهم، إنما وُضع عليها في أوقات متأخرة، في أيام الدولة العباسية بالتحديد. ثم تسربت إلى المصادر الشيعية من كتب وراة العامة، ولعل أول من أدخل ذلك للتراث التاريخي الشيعي هو الشيخ المفيد رحمه الله تعالى، بروايته عن المرزباني في أماليه، مع أنه لم يذكرها في الإرشاد.

وأما ما روي من خطب أخرى للسيدة فاطمة

الصغرى، وأم كلثوم، والإمام السجاد عليه السلام في كتابي الاحتجاج واللهوف، في القرنين السادس والسابع، سواء ما روي مُرسلاً منها عن زيد بن موسى بن جعفر، أو ما نُسب لعنوان الراوي دون اسمه (قال الراوي)، فليس لها أصل في أي مصدر قبل هذا التاريخ، ولم يذكرا أي سند لها ولا أي مصدر. فهي من الموضوعات في القرنين السادس والسابع، ولا يبعد أنها دُست في كُتب العلمين المذكورين، الطبرسي والسيد ابن طاوس، سواء من بعض النُّساخ أو غيرهم، وهو احتمال وارد في كتب التاريخ وغيرها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

***

الملاحق

١. جدول بموقف المصادر التاريخية التي ذكرت نقل السبايا إلى الكوفة؛ من الخطبة المنسوبة للعقيلة زينب عليها السلام:

ت	المصدر / المصنِّف	القرن	الموقف من الخطبة
١	الطبقات الكبرى محمد بن سعد	الثالث	لم ترد فيه
٢	البيان والتبيين الجاحظ	الثالث	نُسبت إليه ولم نعثر عليها في النسخ المتداولة
٣	أنساب الأشراف البلاذري	الثالث	لم ترد فيه
٤	بلاغات النساء ابن طيفور	الثالث	ذكر نصاً مشابهاً، نسبه لأم كلثوم، وليس لزينب
٥	الأخبار الطوال أبو حنيفة الدينوري	الثالث	لم ترد فيه
٦	تاريخ اليعقوبي	الثالث	لم ترد فيه
٧	تاريخ الطبري	الرابع	لم ترد فيه
٨	كتاب الفتوح ابن أعثم الكوفي	الرابع	وردت فيه مرسلةً عن «خزيمة الأسدي» وهو المصدر التاريخي الوحيد من بين المصادر القديمة
٩	تاريخ خليفة بن خياط	الرابع	لم ترد فيه
١٠	مروج الذهب المسعودي	الرابع	لم ترد فيه
١١	التنبيه والإشراف المسعودي	الرابع	لم ترد فيه
١٢	مقاتل الطالبيين أبو الفرج الإصفهاني	الرابع	لم ترد فيه

ت	المصدر / المصنِّف	القرن	الموقف من الخطبة
١٣	الإمامة والسياسة ابن قتيبة الدينوري	الرابع	لم ترد فيه
١٤	الإرشاد المفيد	الخامس	لم ترد فيه
١٥	الأمالي المفيد	الخامس	ذكرها عن نفس الراوي السابق في فتوح ابن أعثم
١٦	الأمالي الطوسي	الخامس	رواها عن الشيخ المفيد عن الراوي نفسه
	تاريخ بغداد الخطيب البغدادي	الخامس	لم ترد فيه
١٧	الاحتجاج الطبرسي	السادس	ذكرها عن الراوي في فتوح ابن أعثم، مع تصحيف في الاسم، وأضاف إليها خطبة للإمام السجاد، وخطبة أخرى لفاطمة الصغرى.
١٨	تاريخ دمشق ابن عساكر	السادس	لم ترد فيه
١٩	المنتظم- ابن الجوزي	السادس	لم ترد فيه
٢٠	الكامل في التاريخ ابن الأثير	السابع	لم ترد فيه
٢١	مثير الأحزان ابن نما الحلي	السابع	ذكرها مع إضافات الطبرسي، وأضاف خطبة لأم كلثوم، عن الراوي في فتوح ابن أعثم، بتصحيف آخر.
٢٢	اللهوف السيد ابن طاوس	السابع	كما في مثير الأحزان السابق

٢. جدول توضيحي لما ورد من تغيير لاسم راوي الخطبة الذي ذكره ابن أعثم في الفتوح:

ت	الاسم	المصدر	الحال
١	خزيمة الأسدي	ابن اعثم الكوفي	من أصحاب معاوية، قُتل في صفين، قبل الطف بأكثر من عشرين عاماً
٢	بشير بن جزيم الأسدي	مستدركات علم الرجال	لا أثر له في كتب الرجال والتراجم
٣	حذلم بن ستير	إحدى نسخ أمالي المفيد، وأمالي الطوسي	لا أثر له في كتب الرجال والتراجم
٤	حذام الأسدي	بلاغات النساء	لا أثر له في كتب الرجال والتراجم
٥	حذيم الأسدي	بلاغات النساء	لا أثر له في كتب الرجال والتراجم
٦	حذيم بن شريك الأسدي	رجال الطوسي، الاحتجاج	لم يرد إلا عند الشيخ، ولم ينقل عنه الخطبة المذكورة في أماليه، إنما نقلها عن حذلم بن ستير
٧	بشير بن خزيم الأسدي	اللهوف	لا أثر له في كتب الرجال والتراجم
٨	بشير بن خزلم الأسدي	نقله التستري عن الهوف	لا أثر له في كتب الرجال والتراجم
٩	خديم الأسدي	مثير الأحزان	لا أثر له في كتب الرجال والتراجم
١٠	حذلم بن بشير	في إحدى نسخ أمالي المفيد	من رواة العامة. له رواية واحدة عن السجاد× في وصف المهدي، في كتاب الغيبة للطوسي، ولم تُنسب إليه الخطبة المذكورة لا عند الشيعة ولا السنة.

ت	الاسم	المصدر	الحال
١١	حذام بن ستير	هامش بحار الأنوار	لا أثر له في كتب الرجال والتراجم
١٢	حذلم بن كثير	في إحدى نسخ أمالي الطوسي	لا أثر له في كتب الرجال والتراجم
١٣	جزام بن ستير	هامش العوالم، نقلاً عن مجالس المفيد والطوسي	لا أثر له في كتب الرجال والتراجم
١٤	بشر بن حذلم	مشتهر في مجالس التعزية	لا أثر له في كتب الرجال والتراجم، واحتمل بعض المعاصرين أنه بشير بن خزيم.
١٥	بشر بن حريم	نسبه محقق الفتوح إلى الدر المنثور لزينب فواز العاملية	لا أثر له في كتب الرجال والتراجم
١٦	جرير بن سيير	البلدان للهمداني	لا أثر له في كتب الرجال والتراجم
١٧	بشير بن حذيم الأسدي	مقتل الخوارزمي	لا أثر له في كتب الرجال والتراجم
١٨	بشير بن جذلم	بعض نسخ اللهوف	لم ينسبوا إليه الخطبة المذكورة، إنما نسبوا إليه نعي الحسين في المدينة بأمر من السجاد×. ولم يعرف.
١٩	بشر بن خديم	هامش اللهوف بالفارسية	لا أثر له في كتب الرجال والتراجم
٢٠	حذيم بن بشير	البحار، نقلاً عن الاحتجاج	لا أثر له في كتب الرجال والتراجم

مركز فجر عاشوراء الثقافي

التابع للعتبة الحسينية المقدسة

fajrashura.com